دروس إيمانية
في الأخلاق الإسلامية

دراسة تربوية فقهية دعوية في ضوء
الكتاب والسنة وآراء الأئمة

تأليف

خميس السعيد محمد

الطبـعة الاولـــى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م

رقم الايداع	١٩١٦٠ / ٢٠٠٧

محمد : خميس السعيد

دروس إيمانية فى الأخلاق الإسلامية : دراسة تربوية فقهية دعوية فى ضوء الكتاب و السنة و اراء الائمة / تاليف خميس السعيد محمد . ـ القاهرة : مكتبة عباد الرحمن : (٢٠٠٧)

٢٩٦ص : ٢٤ سم .

١ – الكتاب و السنة.

أ – العنوان ٢٤٣,٢

مطبعة العمرانية للاوفست

الجيزة : ٣٣٧٥٦٢٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمـــد بن عبدالله الرسول الصادق الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وجميع من ســـار على طريقه إلى يوم الدين . أما بعـــــــــد :

فإن للأخلاق الفاضلة أهمّيّة عظمى في حياة الإنسان ســـواء بالنـــسبة لـــه أو بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه ، أهمية تفوق الحاجة إلى الطعام والشراب .

ذلك أنه بهذه الأخلاق يعيش حياته السعيدة في الدنيا ، ويصير إلى حياة أسعد في الآخرة .

وإن الإنسان بدون مكارم الأخلاق يصبح عدم الخير والفائدة ، كثير الـــشر والضرر ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى .

ولمحاسن الأخلاق في الإسلام مكانة فريدة لم تكن في دين من الأديـــان ، أو منهج من المناهج . [١]

وقد بلغ بها الإسلام من المكانة أن قال رسول الله ﷺ : " إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً) [٢] .

---

[١] (الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها / ٣ ، ٤) د/ عبدالله بـــن ضـــيف الله الرحيلي ط ٢ ، ١٤١٧هـــ .

[٢] البخاري : كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ رقم (٣٣٦٦) .

وقال أيضاً : " إن من أحبّكم إليّ أحسنَكم أخلاقاً "[(١)].

وقال أيضاً : " اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجد فبكلمة طيبـــة"[(٢)]
فالأخلاق الإسلامية لها أثر عظيم في استقامة الأفراد وتماسك الجماعـــة ، إذ الثمار الطيبة الناتجة عن التحلي بالأخلاق الكريمة يعود نفعها على كل مـــن الفرد والمجتمع والأمة .

فبالأخلاق تطهر النفوس وتزكى﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾[الشمس:٩].

وبالأخلاق يسعد الفرد والجماعة ، وبالأخلاق تنتشر الفضيلة ، وتختفي الرذيلة ، وبالأخلاق يكثر الصالحون والمصلحون ، ويقـــل أهـــل الفـــساد والمفسدون في الأرض ، وبالأخلاق تبقى الأمم وترقى ولا يحيق بها العذاب ، ولا تهلك وتنهار .

وبالأخلاق ينال الإنسان مرضاة الله ويحقق لنفسه أقساطاً من السعادة في الحياة الدنيا ، ويكون في مأمن من الشقاوة التي تجلبها الجرائم والانحرافـــات الإنسانية .

وبالأخلاق يبتعد الإنسان من النار ويقترب من الجنة.[(٣)]

---

(١) البخاري: فضائل الصحابة ، باب: مناقب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه رقم(٣٥٤٩) .

(٢) البخاري : كتاب الزكاة ، باب : الصدقة قبل الرد رقم (١٣٤٧) .

(٣) (فصول من الأخلاق الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة / ٢١، د/ عبدالله بـــن ســـيف الأزدي، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـــ .

بل بالأخلاق الإسلامية الحسنة يرتقي المسلم في درجات الخلد ويسكن في عليين .

فعلى المسلم أن يعرف هذا الفضل العظيم للأخلاق الحسنة ويجاهد نفسه، ويدعو ربه في اكتساب تلك المحامد العظيمـــة ، والآلاء الجـــسيمة لمكـــارم الأخلاق ، وعظيم الشيم النبيلة التي تورث من تحلى وتجمل بها درجات الخلد بجوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

أسأل الله تعالى أن يجعل ماجمعت ورتبت وكتبت في ميزان حسناتي وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي ، وأن يجملني وإخواني المسلمين بأخلاق الإسلام المرضية ، ومبادئه السامية العلية ، وأن يغفر لنا الذنوب ، ويستر العيـــوب ، ويرحمنا برحمته الواسعة ، ويسكنّا الفردوس الأعلى من الجنة .

وصلى اللهم وسلم على الحبيب الأمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

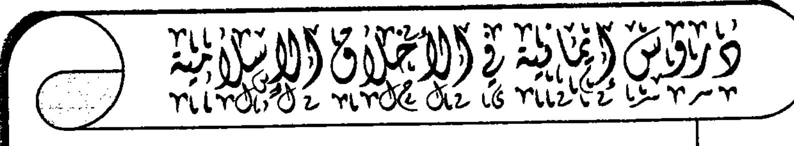
أبو محمد

خميس السعيد محمد عبدالله

مصر / كفر الشيخ / مركز الحامول

الأحـــد ١٤٢٦/٣/٨هـــ ـــ ٢٠٠٥/٤/١٧ م





الترغيب في التواضع من الكتاب والسنة وصور من تواضع النبي ﷺ والسلف الصالح وفوائد التواضع وذكر أسبابه



تمهيـــد

فإن خلق التواضع من أعظم أخلاق الإسلام على ا لإطلاق ، يعرف هذا من تتبع الآيات التي تحث عليه في القرآن العظيم ، وكذلك تظهر هذه الحقيقة جلية في كلام رسول الله ﷺ وفي خلقه العظيم ، وأفعاله وأحواله كلها في السر والعلن .

ولقد اتفق عقلاء الأرض جميعاً على حب التواضع فيما بينهم أو فيما بين فصائلهم وعشائرهم وحب أصحاب التواضع الحقيقي .

وما ذاك إلا لرفعة هذا الخلق العظيم « التواضع » والذي من تجمّل به ، وتخلّق بمقتضياته يرفعه إلى أعلى المنازل عند الله تعالى ، في الدنيا قبل الآخرة .

ففي الدنيا يحبه الناس ، ويألفونه ،ويتودّدون إليــه ، ويرغبــون في مجالسته ، ويستمتعون بحديثه ، ويتشوّفون لقربه ، ويرفعونه فوق منــزلته، ويلبّون رغباته .

كيف لا ! وهو الذي يجيب دعوهم ، ويسمع لهم بملــيء سمعــه ، ويقبل عليهم بكُلّيته ، ويتفقد أحوالهم ، ويعود مريضهم ، ويتواضع لهم ، فلا يسمعون منه فحشاً ، ولا يجدون منه تبرّماً وتأففاً ، ولم يــروا منــه إعراضاً وصدّاً ، بل وطّأ لهم كنفه ، وألان لهم قوله ، والبسمة تعلو وجهه

دائماً ، فالجاهل يعلمه بحلم ، والفقير يعطيه قبل أن يسأله ، وإذا جهل عليه أحد صبر عليه ، ، وأعرض عنه ، ومن كان كذلك فهو خليق بأن يحبه الناس ، ويخطبون ودّه ، ويطلبون قربه .

وعلى الجانب الآخر ترى الناس يبغضون المتكبر ولا يألفونه ، ويتأففون منه ، ولا يرغبون في مجالسته ، وينقبضون منه عند حديثه ، ولا يحبون جواره، ويقعون في عِرْضه سراً وجهراً ، ويُذكر بأسوأ مافيه عُمْراً ودَهْرَاً .

كيف لا ! وهو لايجيب دعوهم ، ولايسمح لهم ، ويعرض عنهم ولا يعود مريضهم ، ولا يسمعون منه إلا الفُحش ، ولايلمسون منه إلا التأفف والهمز واللمز ، إن أعطى فقيراً مَنّ عليه ، وإن جالس ضعيفاً استكبر عليه . وإن قابل مسكيناً أعرض عنه ، وولاّه ظهره ، لايسلّم إلا على من يعرف أنه ربما انتفع منه وإلا فلا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأعجب الأشياء إذا رأيت المتكبر وهو يختال في مشيته ويتمارض كأنه قارون ويعتد بنفسه وبرأيه كفرعون ، فلا يقبل نقداً ، ولا يسمع أن يخطّئه أحد فهو خائف أن تكشف حقيقة أمره ، لهشاشة بنيانه ، وسفول شأنه ، فهو من الحقارة من هو .

فلو رأيته وهو ينظر إلى الناس نظرة استخفاف وازدراء ، ويعاملهم بعلو وأنفة وكبرياء ، ويتعالى على الجميع بسطاء ووجهاء ، وكأن الخلق كلهم عنده سفهاء،لقلت اللهم اجعل بيننا وبينه وجاء، وغطاء وبناء ..!!

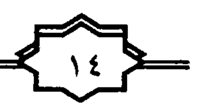
فالقرب من هؤلاء داء عضال ، والجلوس إليهم عار ووبال ، ففــرّ أخي منهم فرارك من المجذوم بل أشد !!

أما المتواضع فقد جنب نفسه الوقوع في هذا الرّدى ، فهــو نــسيج وحده ، في خلقه وشأنه وســائر أمــره ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس] .

فالتواضع فضل من الله تعالى يرزقه من يشاء ، ويحرمه من شاء ، فهو نعمة عظمى ، ومنّة جُلّى ، وعطية كبرى ، فَمَنْ مَنّ الله به عليه فليحمد الله على ذلك ، وليشكره وليطلب المزيد .

واحذر أخي أن تُسرف في التواضع وتُفْرط فيه فَتَــذَلّ ، أو تقــصّر وتفرّط فتُمَلّ وتُعَنّ ، وعليك بالوسطية والمنهجية والاعتدال ، والموفق من وفقه الله والمخذول من خذَله الله .

أسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعاً التواضع في الدين والدنيا ، وأن يمــن علينا بطهارة القلب والنفس ، ولين الجانب ، والرفق في الأمور كلــها ، وأن يصلح ذات بيننا .



تعريف التواضع[١]

التواضع لغة :

هو التذلل والتخاشـــع .

وأصله : تواضعت الأرض ، أي : انخفضت عما يليهـا ، وكـأن المتواضع بخشوعه ، وسكينته تراه من بعيد لاصقاً بالأرض ، بينما المتكبر بتعاليه كأنه يطّاوَلُ شموخاً .

ولهذا يشير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الإسراء] .

التواضع شرعاً :

التواضع خلق سَنِيٌّ يشمل خيرات كثيرة ، فهو خـضوع للحـق ، وانقياد له ، وقبوله ممن قاله في الرضا والغضب.

وهو خفض الجناح ، ولين الجانب .

وهو أن لاترى لنفسك قيمة فوق العباد .

وهو أن لاترى لأحد إلى نفسك حاجة .

---

[١] (التواضع في ضوء الكتاب والسنة /٧ ، ٨) سليم الهلالي ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ ـــ ٢٠٠١ م .

أقوال في حقيقة التواضع

- سئل الفضيل بن عياض عن التواضع ؟ فقال : يخضـــع للحق، وينقاد له ، ويقبله ممن قاله .
- وقيل : التـــواضع أن لاترى لنفسك قيمة ، فمن رأى لنفسه قيمـــة فليس له في التواضع نصيب . وهذا مذهب الفضيل وغيره .
- وقال الجنيد بن محمد : هو خفض الجناح ، ولين الجانب .
- و قال ابن عطاء : هو قبول الحق ممن كان ، والعزُّ في التواضع ، فمن طلبه في الكِبر فهو كتطلب الماء من النار .
- وقال إبراهيم بن شيبان : الشرف في التـــواضع ، والعزُّ في التقوى ، والحريّة في القناعة .
- وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إن من التواضع الرضا بالدون من شرف المجلس ، وأن تسلم على من لقيت .
- وقال ابن المبارك : كان يقال : الغنى غـــنى ا لـــنفس ، والكـــرم في التقوى ، والشرف في التواضع .
- وكان يقال : ثمرة القناعة الراحة ، وثمرة التواضع المحبة .

- وقال لقمان لابنه : يابني تواضع للحق تكن أعقل الناس .[1]

وقال بعض الشعراء :

الكبر ذل والتــواضع رفعــة　　　والمزح والضحك الكثير سقوط
والحــرص فقر والقناعة عزة　　　واليأس من صنع الإله قنــوط

قال مجاهد :

إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال ، وتواضع الجــودي فرفعه بين الجبال وجعل قرار السفينة عليه ، فسبحان من تواضع كل شيء لعزة جبروت عظمته ، وخضع لجلال عظيم حكمته .

---

[1] (تهذيب مدارج السالكين / ٢ / ٦٨٠ـــ ٦٨١) لابن القيم ، هذبه عبدالمنعم صالح العلي العزي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (غذاء الألباب ، شرح منظومـــة الآداب / ٢ / ١٨٠، ١٨١) للسفاريني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

على العاقل لزوم التواضع

قال أبو حاتم رحمه الله :

الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر ، ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمله إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة لكان الواجب عليه أن لا يتزيّا بغيره .

والتواضع يكسب السلامة ، ويورث الألفة ، ويرفع الحقد ، ويُذهب الصد ، وثمرة التواضع المحبة ، كما أن ثمرة القناعة الراحة ، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه ، كما أن تكبر الوضيع يزيد في ضَعته .

وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة مَذِرَة ، وآخره يعود جيفة قذرة، وهو بينهما يحمل العذرة ؟ !

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قوم هُمُ منك أرفع
فإن كنت في عز وخير ومَنْعة فكم مات من قوم هم منك أرفع

وقال آخر :

فأفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة ، ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر ، فلا يتكبر على الناس إلا بإجابه بنفسه ، وما رأيت أحداً تكبر على مَنْ دونه إلا ابتلاه الله

بالذلّة لمن فوقه .

فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سناً منه تواضع له ، وقال : سبقني إلى الإسلام ، وإذا رأى من هو أصغر سناً تواضع لـــه ، وقـــال : ســـبقته بالذنوب، وإذا رأى من هو مثله عّده أخاً ، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه ، ولا يجب استحقار أحد ، لأن العود المنبوذ ربما انتفع به فحـــكّ الرجل به أذنه .

فما استجلبت البغضة بمثل التكبر ، ولا اكتسب المحبة بمثل التواضع ، ومن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ، ولا يجب لـــصاحب الكبر أن يطمع في حسن الثناء ، ولا تكاد ترى تائهاً إلا وضيعاً [١] . اهـــ

---

[١] (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء /٥٩ـــ٦٣) باختصار وتصرف يسير، مكتبة الباز، مكـــة المكرمة .

الترغيب في التواضع من كتاب الله تعالى

أ) قـال تعـالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان :٦٣] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله :

هذه صفات عباد الرحمن المؤمنين ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ أى : بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار كقولـه ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] .

فأما هؤلاء فإنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياء ، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما يخط من صبب ، وكأنما الأرض تطوى له . اهـ

ب) وقال تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء :٢١٥] .

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله :

فهو اللين ، والتواضع ، والرفق في صورة حسية مجسّمة ، صـورة خفض الجناح ، كما يخفض الطائر جناحيه حين يهم بالهبوط .

وكذلك كان رسول الله ﷺ مع المؤمنين طوال حياته ، فلقد كـان

خلقه القرآن ، وكان هو الترجمة الحية الكاملة للقرآن الكريم.اهـ من الظلال

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله :

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

أي : تواضع ، وذلك أن المتعالى والمترفع يرى نفسه أنه كالطير يسبح في جو السماء ، فأمر أن يخفض جناحه ، وينزله للمؤمنين الذين اتبعوا النبي ﷺ .

وعلم من هذا أن الكافر لا يخفض له الجناح وهو كذلك ، بل الكافر ترفّع عليه ، واعلُ عليه واجعل نفسك في موضع أعلى منه لأنك مستمسك بكلمة الله ، وكلمة الله هي العليا .

ولهذا قال الله ﷻ في وصف النبي ﷺ وأصحابه : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح :٢٩] يعنى أنهم على الكفار أقوياء ذووا غلظة ، أما فيما بينهم فهم رحماء .اهـ [١]

جـ) وقال سبحانه في الثناء على أوليائه بوصف التواضع فيهم :

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

---

[١] (شرح رياض الصالحين /١/٨٨٣) دار السلام ، القاهرة .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

هذه صفات المؤمنين الكُمّل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه ، متعزّزاً على خصمه وعدوه .

كما قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [محمد : ٢٩] . اهـ

قال الزمخشرى : فإن قيل : هلاّ قيل : أذلة للمؤمنين ؟

قلت فيه وجهان :

أحدهما : أن يضمن الذل معنى الحنوّ والعطف ، كأنه قيل : عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع .

والثاني : أنهم — مع شرفهم وعلوّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين — خافضون لهم أجنحتهم ، وقرئ «أذلةً وأعزةً » بالنصب على الحال .

واستدل بالآية على فضل التواضع للمؤمنين والشدة على الكفار.اهـ[١]

د) وقال ﷻ : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص] .

---

[١] (محاسن التأويل /١٥٣/٣) للقاسمي . مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت .

قال القرطبي رحمه الله :

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ يعني الجنة . وقال ذلك على جهة التعظيم لها والتفخيم ، يعنى تلك التي سمعت بذكرها ، وبلغك وصفها ﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: رفعة وتكبراً على الإيمان والمؤمنين: ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ عملاً بالمعاصى ، قاله ابن جريج ومقاتل .

﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قال الضحاك : الجنة ، وقال أبو معاوية : الذى لايريد علواً هو من لم يجزع من ذلّها ، ولم ينافس في عزّها ، وأرفعهم عند الله أشدهم تواضعاً ، وأعزهم غداً ألزمهم لذلّ اليوم .

وأورد بإسناد صحيح عن إسماعيل بن أبي خالد قال :

مَرّ عليٌّ بن الحسين وهو راكب على مساكين يأكلون كسراً لهم ، فسلّم عليهم فدعوه إلى طعامهم ، فتلا هذه الآية ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا ....﴾ ثم نزل وأكل معهم .

ثم قال : قد أجبتكم فأجيبونى ، فحملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم وصرفهم . اهـ [1]

---

[1] (التسهيل لتأويل التنزيل «تفسير سورة القصص»/٢٢٣) مصطفى العدوى دار بلنسية ،

الترغيب في التواضع من السنّة المطهّرة

أ ـ تواضعوا :

عن عياض بن حمار ﷺ قال : قال رسول الله : « إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد »[1].

قال ابن عثيمين رحمه الله :

يعني أن يتواضع كل واحد للآخر ولا يترفع عليه ، بل يجعله مثله أو يكرمه أكثر .

وكان من عادة السلف -رحمهم الله- أن الإنسان منهم يجعل من هو أصغر منه مثل ابنه، ومن هو أكبر منه مثل أبيه ، ومن هو مثله مثل أخيه .

فينظر إلى من هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال ، وإلى من هو دونه نظرة إشفاق ورحمة ، وإلى من هو مثله نظرة مساواة ، فلا يبغى أحد على أحد وهذا من الأمور التي يجب على الإنسان أن يتصف بها ـ أي

الرياض ، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

(١) مسلم : كتاب الجنة ونعيمها ، باب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار رقم (٧١٣٩) (نووى /١٧/ ١٩٧) .

بالتواضع لله ﷻ لإخوانه من المسلمين .

وأما الكافر : فقد أمر الله تعالى بمجاهدته والغلظة عليه وإغاظته وإهانته بقدر المستطاع ، لكن من كان له عهد وذمة فإنه يجب على المسلمين أن يفوا له بعهده وذمته ، وألا يخفروا ذمّته ، وألا يؤذوه مادام له عهد .اهـ [١]

ت) من تواضع لله رفعه الله :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما نقصت صدقة من مال، ولا زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عِزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[٢].

قال الإمام النووي رحمه الله :

فيه وجهان :

أحدهما : يرفعه في الدنيا ، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ، ويرفعه الله عند الناس ، ويجل مكانه .

والثاني : أن المرء ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا .

قال العلماء : وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة ، وقد يكون المراد الوجهين معاً في جميعهما في الدنيا والآخرة

---

[١] (شرح رياض الصالحين /١/٨٨٨) .

[٢] مسلم: كتاب البر والصلة، باب: استحباب العفو والتواضع رقم(٦٥٣٥) (نووى /١٦/٣٥٧).

والله أعلم . اهـ [١]

وقال المناوى رحمه الله :

من تواضع لأجل عظمة الله تواضعاً حقيقياً، ناشئاً عن شهود عظمة الحق. فالتواضع للناس مع اعتقاد عظمة في النفس واقتدار ليس بتواضع حقيقي ، بل هو بالتكبر أشبه .

«رفعه الله » لأن من أذلّ نفسه لله فيجازيه الله بأحسن ما عمل .

قال ابن الحاج : فمن أراد الرفعة فليتواضع لله ، فإن الرفعة لا تقع إلا بقدر النزول ، ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أسفل الشجرة صعد إلى أعلاها كأن سائلاً سأله : ما صعد بك هاهنا وأنت قد نزلت تحت أصلها ؟ فقال لسان حاله : « من تواضع لله ، رفعه الله » [٢] اهـ .

جـ) إرفع حَكَمَتهُ :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من آدمى إلا في رأسه حكمة بيد مَلَك ، فإذا تواضع قيل للملك : ارفع حكمته ، وإذا تكبر قيل للملك : دع حكمته » [٣] .

---

[١] (شرح صحيح مسلم /١٦/٣٥٨) .

[٢] (فيض القدير /٦/١٠٨) .

[٣] حسن : حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٦٧٥) والصحيحة رقم (٥٣٨) .

قال المناوى رحمه الله :

« إلا في رأسه حكمة» : ما يجعل تحت حنك الدابة ، يمنعها المخالفة كاللجام ، والحنك متصل بالرأس «بيد ملك» موكل به ، فإذا تواضع للحق والخلق «قيل للملك » من قبل الله تعالى «ارفع حكمته» أي : قدره ومنزلته ، يقال فلان على الحكمة ، فرفعها كناية عن الإعذار .

«فإذا تكبر قيل للملك : دع حكمته » كناية عن إذلاله ، فإن صفة الذليل تنكيس رأسه .

فثمرة التكبر في الدنيا الذّلّة بين عباد الله ، وفي الآخرة طينة الخبال ، وهى عصارة أهل النار . اهـ [١]

د) **المتواضعون أهل الجنة :**

عن حارثة بن وهب الخزاعي عن النبي ﷺ قال : «ألا أخبركم بأهل الجنة : كلُّ ضعيفٍ مُتضَعَّف» وفي رواية : «مُتَضَاعَف» وفي أخرى : «مستَضْعِفٍ لو أقسم على الله لأبَرّهُ ألا أخبركم بأهل النار : كل عُتُلٍ جَوّاظ مُستكبر» [٢] .

---

[١] (فيض القدير /٥/٤٦٦ ـ ٤٦٧) .

[٢] البخاري : كتاب الأدب ، باب : الكبر ، رقم (٦٠٧١) (فتح /١٠/٦٠٠) .

قال الشيخ محمد عبدالعزيز الخولى رحمه الله :

الرجال لا تقاس بالضخامة والمنّة ولا بالشكل والقوة ، ولا بالزىّ والصورة ولكن تقاس بالقلوب التي تحملها ،والأعمال التي تصدرها ، والأخلاق التي تلبسها .

فمن حمل قلباً سليماً ، وأصدر عملاً نبيلاً ، وتخلّق خلقاً جميلاً ، فذلك الرجل ، يحمد لله صنيعه ، ويجزل من الصواب نصيبه ، وإن كان ضعيف البنية ، واهن القوة ، ورث الحال ، قليل المال ، مشوه الصورة ، أشعث أغبر ، أسود أفحم ، ذا طمرين باليين ، وثوبين خلقين ، تقحمه العيون وتزدريه النفوس ، ويستضعفه الأحمق الجهول ، ويتجرأ عليه ذو البأس والسلطة ، والجاه والقوة ، ذلك هو الضعيف المتضعف ، والمسكين والمستضعف ، ذلك هو الذّل المتواضع ، والخنوع المتطامن .

بل ذلك قوى النفس متين الخلق ، صافى السريرة خالص العقيدة ، لو أقسم على الله أن يهبه مالاً أو علماً ، أو زوجاً ، أو ولداً ، أو قوة ، أو جاهاً لأبرّه في قسمه ، وصدقه في حلفه ، وأجابه إلى رغبته ، لعلو مكانته عند الله وقُرْب منزلته إليه ، وكرامته عليه ...اهـ [1] .

---

[1] (الأدب النبوي /١٤٢) دار المعرفة بيروت .

هـ) تمسّحوا بالأرض :

عن سلمان ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : «تمسّحوا بالأرض فإنها بكم بَرَّةٌ » [(١)] .

قال المناوى رحمه الله :

«تمسحوا بالأرض » ندباً بأن تباشروها بالصلاة بلا حائل بينكم وبينها .

«فإنها بكم برّة» أي : مشفقة كالوالدة البرّة بأولادها .

يعنى : أن منها خلقكم، وفيها معاشكم ، وإليها بعد الموت معادكم، فهى أصلكم الذى منه تفرعتم ، وأمكم التي منها خلقتم ، ثم هى كفاتكم إذا متم ذكره كله الزمخشرى .

وبقوله : أن تباشروها بالصلاة يعلم أن من قصر الأمر بالمباشرة على الجبهة حال السجود فقد قصر وقيل أراد التيمم، وقيل : التواضع بمباشرتها قاعداً أو نائماً بلا حائل تشبيها بالفقر أو إيثاراً للتقشف والزهد. اهـ [(٢)]

---

(١) صحيح : صححه الألباني في صحيح الجامع رقم(٢٩٩٨) والصحيحة رقم (١٧٩٢).

(٢) (فيض القدير / ٣/ ٢٦٨) .

محمد ﷺ متواضعاً

كان ﷺ عجيباً في ذلك ، فتواضعه تواضع من عرف ربه مهابة ، واستحيا منه وعظمه وقدّره وحق قدره ، وتطامن له وعرف حقارة الجاه والمال والمنصب فسافرت روحه إلى الله، وهاجرت نفسه إلى الدار الآخرة، فما عاد يعجبه شيء مما يعجب أهل الدنيا، فصار عبداً لربه بحق.

يتواضع للمؤمنين ، يقف ويواسي المستضعفين ويداعب الأطفال ، ويمازح الأهل ، ويكلّم الأَمَةَ ، ويواكل الناس ويجلس على التراب وينام على الثرى ، ويفترش الرمل ويتوسد الحصير ، قد رضي عن ربّه ، فما طمع في شهرة أو منزلة أو مطلب أرضي أو مقصد دنيوي ، يكلّم النساء بلطف ، ويخاطب الغريب بودّ .

يتألف الناس ، ويتبسم في وجوه أصحابه ، ويقول : «إنما أنا عبد : آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » [(١)] .

ولما رآه رجل ارتجف من هيبته قال : «هوّن عليك ، فإني ابن امرأة

---

(١) صحيح أخرجه أبو الشيخ من حديث عائشة رضى الله عنها ، وفي سنده عبيدالله بن الوليد الوصافي وهو ضعيف لكن له شاهد عند ابن سعد (٣٨١/١) وشاهد مرسل عند أحمد في الزهد /٦/٥) وإسناده صحيح فيتقوى الحديث ويصح انظر تحقيق الزاد للشيخين شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط .

كانت تأكل القديد بمكة »[١] .

وكان يكره المدح ، وينهى عن إطرائه ويقول : «لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله ، فقولوا عبدالله ورسوله »[٢] . وكان ينهى أن يُقام له ، وأن يوقف على رأسه، وكان يجلس حيثما انتهى به المجلس ، وكان يختلط بالناس كأنه أحدهم ، ويجيب الدعوة ويقول : « لو دعيت إلى كراع لأجبت ، ولو أهدى إلىّ ذراع لقبلت »[٣] .

وكان يحب المساكين ،ويروى قوله : « اللهمّ أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين » .[٤]

فكان ﷺ محبباً إلى القلوب تأخذه الجارية بيده فيذهب معها ، ويزور أم أيمن وهى مولاة ، ولما مدحه وفد عامر بن صعصعة وقالوا : أنت خيرنا

---

[١] صحيح : رواه ابن ماجة ، كتاب الأطعمة ، باب : القديد ، رقم (٣٣١٢) طبعة بيت الأفكار الدولية .

[٢] البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ...... ﴾ رقم (٣٤٤٥) .

[٣] البخاري : كتاب الهبة ، باب : القليل من الهبة ، رقم (٢٥٦٨) .

[٤] صحيح : الترمذي ، كتاب الزهد ، باب : ماجاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم رقم (٢٣٥٢) .

وأفضلنا وسيدنا وابن سيدنا قال لهم : « يا أيها الناس ! قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ، ولا يستجرينّكم الشيطان » [١] .

وكان يحمل حاجة أهله ، ويخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويكنس بيته ويحلب شاته ، ويقطع اللحم مع أهله ، ويقرّب الطعام لضيفه ، ويباسط زوّاره ، ويسأل عن أخبارهم ، ويتناوب ركوب الراحلة مع رفيقه ، ويلبس الصوف ، ويأكل الشعير ، وربما مشى حافياً ، وينام في المسجد ، ويركب الحمار، ويردف على الدابة ، ويعاون الضعيف ، ويتفقد السرية، ويكون في آخرهم فيساعد المحتاج ، ويرافق الوحيد منهم ...

فصلى الله عليه وسلّم ما تحرك بذكره اللسان وسارت بأخباره الركبان وردّد حديثه الإنسان والجان . [٢]

---

[١] صحيح : أبو داود ، كتاب الأدب ، باب : في كراهية التمادح رقم (٤٨٠٦) طبعة بيت الأفكار .

[٢] (محمد ﷺ كأنك تراه /٤٢ـ٤٦) د/ عائض القرني ، دار ابن حزم ، بيروت .

السلف الصالح وتواضعهم العجيب *

* عن أسلم مولى عمر: أن عمر لما دنا من الشام تنحى ومعه غلامه، فعمد إلى مركب غلامه فركبه وعليه فرو مقلوب، فحوّل غلامه على رحل نفسه، وإن العباس بين يديه على فرس عتيق وكان رجلاً جميلاً، فجعلت البطارقة يسلمون عليه فيشير لست به وإنه ذاك.

* عهد عمر إلى حذيفة ولاية المدائن فقال: اسمعوا له وأطيعوا وأعطوه ما سألكم، فخرج من عند عمر على حمار موكف تحته زاده، فلما قدم استقبله الدهاقين وبيده رغيف وعرق من لحم.

* كان على بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يده فخذيه ولا يخطر بها.

* قيل: كان سالم بن عبدالله يركب حماراً زرياً عتيقاً، فعمد أولاده فقطعوا ذنبه حتى لا يعود يركبه، فركبه وهو أقطش الذنب، فعمدوا فقطعوا أذنه فركبه ولم يغيره ذلك، ثم جدعوا أذنه الأخرى، ومع ذلك يركبه تواضعاً واطراحاً للتكلّف.

*عن ميمون أبي حمزة الأعور قال: قال لي إبراهيم «النخعي»

---

*(سير أعلام النبلاء) للذهبي، وعنه أخذ صاحب " منجد الخطيب / ١/٦٣٧ ــ ٦٤٧) أحمد صقر السويدي، دار ابن حزم، بيروت.

تكلمت ولو وجدت بدّاً لم أتكلم، وإن زماناً أكون فيه فقيهاً لزمان سوء.

* عن خالد بن معدان قال : لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله مثل الأباعر، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أحقر حاقر.

*قال ابن جابر : أقبل علينا يزيد بن عبدالملك إلى مجلس مكحول فهممنا أن نوسع له فقال : دعوه يتعلم التواضع .

* بينما عمر بن عبدالعزيز يتغدى إذ بصر بزياد مولى ابن عياش فطلبه ثم قعد معه وقال : يافاطمة ، هذا زياد فاخرجي فسلمى ، هذا زياد وعليه جبّة صوف وعمر ولى أمر الأمّة وبكى .

فقالت : يازياد ، هذا أمرنا وأمره ، ما خرجنا به ، ولا قرّت أعيننا منذ ولى .

* قال أيوب السختيانى : إذا ذُكِرَ الصالحون كنت بمعزل عنهم .

* قال حماد بن زيد : كان لأيوب السختيانى برد أحمر يلبسه إذا أحرم، وكان يعده كفناً وكنت أمشى معه فيأخذ في طرق إنى لأعجب له كيف يهتدى لها فراراً من الناس أن يقال : هذا أيوب .

* قيل : اشتكى رجل من ولد محمد بن واسع إليه فقال لولده : تستطيل على الناس وأمك اشتريتها بأربعمائة درهم ، وأبوك لاكثرَّ الله في المسلمين مثله .

قال علي بن المدينى : كان سفيان الثورى إذا سئل عن شيء يقول :

لا أُحسِن، فنقول : من نسأل ؟ فيقول : سَلِ العلماء ، وسَلِ الله التوفيق .

* عن ابن المبارك قال : إذا عرف الرجل قدر نفسه ، يصير عند نفسه أذل من كلب .

* وسئل يوسف بن أسباط الزاهد : ما غاية التواضع ؟ قال : أن لا تلقى أحداً إلا رأيت له الفضل عليك .

* قال أبو ثور : سمعت الشافعي يقول : ينبغي للفقيه أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله ، وشكراً لله .

* وقال الشافعي : أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره ، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله .

* وعن المروذى قال : لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أحمد ، كان مائلاً إليهم ، مقصراً عن أهل الدنيا ، وكان فيه حلم ، ولم يكن بالعجول وكان كثير التواضع تعلوه السكينة والوقار ، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل ، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر .

* وقال محمد بن الحسن بن هارون : رأيت أبا عبدالله إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد .

قال الذهبي رحمه الله :

إيثار الخمول والتواضع، وكثرة الوجل من علامات التقوى والفلاح.

*عن علي بن خشرم : سمعت وكيعاً يقول : لا يكمل الرجل حتى يكتب عمّن هو فوقه ، وعمن هو مثله ، وعمن هو دونه .

* قال ابن عون: كان محمد بن سيرين من أشد الناس إزراء على نفسه.

* قال خلف بن تميم رأيت الثورى بمكة وقد كثروا عليه فقال إنا لله، أخاف أن يكون الله قد ضيع الأمة حيث احتاج الناسُ إلى مثلى .

التواضع في طلب العلم

أ) تواضع النبي ﷺ :

لقد كان رسول الله ﷺ في غاية التواضع لربه وهو يطلب العلم ، وتأمل قصة الوحى في الغار ، وإجابة النبي ﷺ لجبريل بقوله : «ما أنا بقارئ» وكذلك وصف الله تعالى له بأنه أمّى ، وتصريح النبي ﷺ بذلك، وتأمل قوله تعالى كذلك: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾.

وانظر حديث جبريل المشهور وقوله ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الساعة فقال : «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» وكذلك دعاء النبي ﷺ بقوله ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ .

ولقد صح عنه ﷺ أنه سمع لقراءة ابن مسعود ، بل أمره أن يقرأ عليه القرآن ، وكذلك قرأ على أبيّ بن كعب سورة البينة .

أما تواضعه ﷺ لمن جاء يطلب العلم منه فكثيرة هى تلك الشواهد التي تدل على ذلك .

وإذا سأله سائل و لم تكن عنده ﷺ إجابة على السؤال صمت فلم يتكلم حتى ينزل الوحى عليه يخبره بالفتيا ، وغير ذلك من صور تواضعه ﷺ في طلب العلم ، وتعلمه الشيء الكثير ، وما حديث مدارسته ﷺ القرآن على جبريل كل عام في رمضان عنا ببعيد ، حتى إذا كان العام

الذي توفى فيه عرض القرآن على جبريل عليه السلام مرتين فصلى الله وسلم على سيد العلماء وإمام الأنبياء والأولياء .

ب) تواضع ابن عباس رضي الله عنهما :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قبض رسول الله ﷺ ، قلت لرجل من الأنصار : هلمّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، قال : واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك ، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ فيهم ؟ قال : فترك ذلك ، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتى بابه وهو قائل فأتو سّد ردائى على بابه تُسفى الريح عليّ من التراب فيخرج فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث ، قال : فعاش ذلك الرجل الأنصارى حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي فيقول : هذا الفتى كان أعقل منى [1] .

جـ) تواضع الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

*قال خلف : جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة ، فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال : لا أجلس إلا بين يديك ، أُمِرْنا أن

---

[1] رواه الهيثمى في (مجمع الزوائد ٩/ ٢٧٧) وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

نتواضع لمن نتعلم منه .

* قال محمد بن محمد بن عمر أبو الحسن العطار : إنه رأى أحمد بن حنبل أخذ لداود بن عمر بالركاب ، ذكره الحافظ تقى الدين بن الأخضر فيمن روى عن أحمد .

* قال أحمد بن سعيد الرباطى سمعت أحمد بن حنبل يقول : أخـــذنا هذا العلم بالذل فلا ندفعه إلا بالذلّ .

* قال ابن عقيل في «الفنون» مما وجدته في آداب أحمد ﷺ أنه كان مستنداً ، وذكر عنده ابن طهمان ، فأزال ظهره عن الاستناد ، وقال : لا ينبغى أن يجرى ذكر الصالحين ونحن مستندون .

* قال عامر للإمام أحمد : يا أبا عبدالله، بلغنى أنك رجل من العرب، فمن أى العرب أنت ؟ فقال لي : يا أبا النعمان نحن قوم مساكين ، ومـــا نصنع بهذا ؟

* وقال أبو توبة البغدادي : رأيت أحمد بن حنبل عند الـــشافعي في المسجد الحرام ، فقلت له : يا أبا عبدالله ، هذا سفيان بن عينية في ناحية المسجد يحدث ، فقال : هذا يفوت وذاك لا يفوت [١] .

---

[١] (الآداب الشرعية /٢/١١٠ــ١١٥) لابن مفلح ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عمر القيام ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤٢١هــ .

د) ذلّ التعلّم :

*قال الشافعي: لايطلب هذا العلم أحد بالملك وعِزّة النفس فيفلح، لكن مَنْ طلبه بذلة النفس، وضيق العيش، وخدمة العلم،وتواضع النفس أفلح.

* وعن الأصمعي قال : من لم يحمل ذلّ التعلم ساعة ، بقى في ذلك الجهل أبداً .

* قال عبد بن المعتز : المتواضع في طلب العلم أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء .

وقد نظم أبو عامر النسوي فقال :

العلمُ يأتي كلّ ذي خَفْضٍ ، ويأبي كلّ آبي
كالماء ينزل في الوهاد ، وليس يصعدُ في الروابي

وكذلك ينبغي أن يتحمّل الطالب ما يكون من الشيخ أو من بقية الطلبة لئلا يفوته العلم، فتفوته الدنيا والآخرة ، مع حصول العدو وطلبه ، وشماتةُ الأعداء من الأربعة المأمور بالاستعاذة منهن في الصحيحين في قوله ﷺ : «تعوَّذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء » .

وقد قيل :

لمحبرة تجالسني نهاري أحبُّ إليّ من أُنْس الصّديق

ورزمة كاغد في البيت عنـــدى	أعـــزُّ إلىّ من عِـــدْلِ الرقيق
ولطمة عـــالم في الخـــدّ مـــنى	ألذُّ إلىّ مـــن شـــرب الرحيـــق

* وقال الشافعى : غضب الأعمش يوماً على رجل من الطلبة فقـــال آخر : لو غضب علىّ مِثْلَكَ لم أعُدْ إليه .

فقال له الأعمش : إذاً هو أحمق مثلك ، يتركُ ما ينفعه لسوء خلقى ذكره البيهقى [1] .

هـــ) نصيحة صريحة لطلبة العلم :

هذه نصيحة صريحة ، وكلمة وجيزة أنصح نفسى بها أولاً ثم إخوانى من طلاب العلم ثانياً .

ذلك أنى رأيت الكبر قد اتصف به كثير ممن يدّعون أو ممن يُـــسمّون بطلاب العلم ، وهذا لعمر الحق من أدهى الدواهى ، ومن أكبر المصائب أن ترى شخصاً يأمر الناس ويدعوهم إلى محاسن الأخلاق ثم تراه ينتفش على الخلق ويترفّع عليهم بعلمه ، ولسانه ، وفهمه !!

فأي علم هذا ؟ وأي سمت هذا ؟ وأى خلق هذا ؟!

أسأل الله تعالى الهداية لكل من اتصف بهذا الوصف الماحق لبركة العلم .

---

(١) (الآداب الشرعية /٢/١١١ـــ١١٥) لابن مفلح .

والله لو اجتمع علم هؤلاء المتكبرين كافة ما كان إلا كفضل بزاقٍ مِنْ علم مَنْ سبقهم .

فعلام الكبر ؟! ولأى شي يُهجر التواضع ؟!

لو ذهبت أتتبع أقوال العلماء المتقدمين والمعاصرين ـــ وقـــد مـــضى بعضها ، العاملين بعلمهم ، والتي تبرهن بجلاء وتدل على رسوخ أخلاقهم في باب التواضع لطال المقام جداً .

فياتُرى من هو أسوة هؤلاء الأغمار ؟! ومن هو قدوتهم ؟!

وأعجب العجب عندما تجد أحدهم ـــ من أدعياء العلـــم ـــ وهـــو يجرّح في هذا ، ويُعدِّل هذا ، وينتقد آخر ،ويحمل على غيره مـــن طلبـــة العلم والدعاة ، وبعضهم وربّى لا يحسن قراءة فاتحة الكتاب ثم يـــذهب بنفسه كل مذهب ، ويتيه بعجبه كل واد بطريقة ساذجة خبرها الجميع ، ولاح في الأفق دجلها وكذبها وسفهها .

فقولوا لمن كان كذلك لا يتعنى !! فالجميع بدجله وهزله يتغنّى !!

فياطالب العلم ، والله لن تجد مثل التواضع مركباً ، ولن تجد مثـــل التواضع صاحباً ،

فكن بالتواضع متصفاً ، تصل إلى بُغْيَتِكَ بإذن الله ، ويحبك الله وجميع من ولاه .

صاحب المال والسلطة مع التواضع

ألا فليعلم هؤلاء الذين مَنّ الله عليهم بالمال ، والجاه ، والقوة ، والنفوذ أنهم أحوج الخلق إلى خلق التواضع .

لأن هذه النعَم مدعاة إلى الكبر والفخر .

وما ابتُليت الأمة بمصيبة الكبر إلا من هؤلاء ، ولو نظر صاحب المال مثلاً إلى سالف أمره ، وبادئ حياته لرأى الجوع والفقر والعوز ورثاثة الهيئة والحال مما يصعب مع هذا المستوى أن يكون متكبراً متعجرفاً لأنه لا يوجد لديه ما يتكبر به .

وهل يتكبر الإنسان بجهله ؟!

أم يتكبر بفقره وعوزه وضعفه ؟!

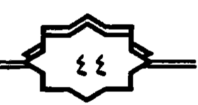
ومن هذا الذي يتكبر برثاثة حاله كلّه ؟!

إذاً فعلى من كان هذا حاله إذا ما رُزق مالاً أن يشكر ربه الذي أغناه بعد فقر ، وأعطاه بعد حرمان ، وأشبعه بعد جوع ، وأمّنه بعد خوف ، وأن يجعل التواضع فراشه ، ودثاره ، وزينته ، هذا هو الشكر العملي الحقيقي ، فكن أخي عثماني المنهج ، ولا تكن قاروني !!

أما أن يتكبر وهذا حاله ، فلا أدرى بما يوصف هذا الإنسان ، وقد

بُدّلت لديه المفاهيم والموازين .

وكذلك يقال لصاحب كل نعمة أنْ عليك بالتواضع ، فلربما دارت عليك الأيام ، وبُدِّل الحال ، وعندها لا تجد إلا الاشفاق عليـــك بقـــول القائل : **ارحمـــوا عزيز قـــوم ذلّ .**



تواضع تكن كالنجم

تواضع تكن كـالنجم لاح لنـاظر ... على صفحات الماء وهـو رفيـعُ
ولا تك كالـدخان يرفـع نفـسه ... إلى طبقات الجـوّ وهـو وضـيعُ
فأخسُّ ما في المـرء يرفـع نفـسه ... رفيـع وبـين العـالمين وضـيعُ
وأحسن ما في المرء يكـسر نفسه ... وضيع وبـين العـالمين رفيـعُ [(١)]

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع ؟ فقال: يخضع للحق وينقاد له، ويقبله ممن قاله وقيل : التواضع ، أن لا ترى لنفسك قيمة ، فمـن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب ، وهذا مذهب الفضيل وغيره .

وقال الجنيد بن محمد : هو خفض الجناح ، ولين الجانب .

وقال إبراهيم بن شيبان : الشرف في التواضع ، والعزّ في التقـوى ، والحرية في القناعة .اهـ [(٢)]

---

(١) (تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم/١٠٦) لابن جماعة، رمادي للنشر والتوزيع.

(٢) (تهذيب مدارج السالكين /٢/٦٨٠ ، ٦٨١) .

من مظاهر التواضع

قال العلامة الجزائري حفظه الله :

ومن مظاهر التواضع ما يلي :

١ـ إن تقدم الرجل على أمثاله فهو متكبر ، وإن تأخر عنهم فهو متواضع .

٢ـ إن قام من مجلسه لذى علم وفضل ، وأجلسه فيه ، وإن قام سوّى له نعله ، وخرج خلفه إلى باب المنزل ليشيعه فهو متواضع .

٣ـ إن قام للرجل العادى وقابله ببشر وطلاقة ، وتلطف معه في السؤال وأجاب دعوته ،وسعى في حاجته ، ولا يرى نفسه خيراً منه فهو متواضع .

٤ـ إن زار غيره ممن هو دونه في الفضل، أو مثله ، وحمل معه متاعه ، أو مشى معه في حاجته فهو متواضع .

٥ـ إن جلس إلى الفقراء والمساكين والمرضي ،وأصحاب العاهات وأجاب دعوتهم وأكل معه وماشاهم في طريقهم فهو متواضع .

٦ـ إن أكل أو شرب في غير إسراف ، ولبس في غير مخيلة فهو متواضع [1] اهـ .

---

[1] (منهاج المسلم /١٣٥) دار الفكر ، ط١ .

٧ـ وكذلك من مظاهر التواضع ، أن تبدأ غيرك بالسلام ،وبالمصافحة والبشر والمودة ، والجلوس حيث ينتهي بك المجلس .

٨ـ القناعة بما رزقك الله به ، وعدم الضجر والاستحياء من الفقر ومظاهره وتقديم ما عندك للضيفان وإن قلّ ،وأن تلبس الموجود ، ولا تحزن على المفقود ،وتجود بالموجود .

٩ـ أن تركب الدابة من حمار وبغل وما وجد من آلات حديثة كالسيارات المتواضعة القديمة .. وغير ذلك ،وتسلم على الصبيان ، وتأكل مع الفقراء وتجالس المساكين ،وتجيب دعوة من دعاك .

١٠ـ أن تساعد أهلك في أعمال المنزل ، فتغسل وتطبخ ، وتكنس ، وترقع ثوبك ، وتحلب شاتك ،وتخدم نفسك وغير ذلك من صور التواضع كثير .

فوائد التواضع وأثره في سلوك العبد *

- قبول الحق من قائله ، بغض النظر عن جنسه أو عرقه أو منصبه أو جاهه أو سِنّه .. ونحو ذلك .
- عدم احتقار الناس .
- وجود مجتمع متصاف متحاب ، كالجسد الواحد ، لا يتعالى فيه أحد على أحد .
- القوة والمنعة والعزّ أمام الكفار : «أعزة على الكافرين» .
- العفو والصفح وخفض الجناح للمؤمنين .
- الرفق بالصغير والضعيف .
- يُروى عن الحسن : أنه مرّ على صبيان معهم كسر خبز، فاستضافوه ، فنزل فأكل معهم ، ثم حملهم إلى منزله ، فأطعمهم وكساهم .

وقال: اليد لهم، أنهم لا يجدون شيئاً غير ما أطعموني، ونحن نجد أكثر منه.

- رفع المنزلة والمكانة .

لقوله ﷺ : « ....وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » [1] .

(*) (التواضع ومنزلته من الدين /٩٧ـ٩٩) حسين العوايشة .

[1] سبق تخريجه .

- الشعور بحلاوة الإيمان .
- حسن الاقتصاد والتدبير الناتج عن التواضع في الملبس والمطعم والمشرب والمسكن والأثاث .
- عدم الفخر والبغي وكُره الظهور .

لقوله ﷺ : « إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد » [١] .

ويروى عن الحسن : أنه قال : كنت مع ابن المبارك ، فأتينا على سقاية والناس يشربون منها ، فدنا ليشرب ، ولم يعرفه الناس ، فرجموه ودفعوه ، فلما خرج قال لي : ما العيش إلا هكذا . يعني : حيث لم نُعرف ولم نوقّر.

- حسن الخلق ، ولصاحبه منزلة رفيعة ودرجة عظيمة وفضائل جمة .

قال ﷺ : « أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن » [٢] .

وقال ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً ، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » [٣] .

---

[١] سبق تخريجه .

[٢] صحيح : السلسلة الصحيحة رقم (٨٧٦) .

[٣] صحيح : السلسلة الصحيحة رقم (٧٥١) .

أهل التواضع أتقياء أخفياء

إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الأبرار الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يراعوا و لم يعرفوا مصابيح الهدى ، يخرجون من كـــل غـــبراء مظلمة فاحرص على طاعة الله فإن ظهر أمرك واشتهر حالك فعش حياة العبودية لربك واصرف هذا الظهور فيما يقربك من مولاك وإلا فكـــن واحداً من هؤلاء الأفاضل .

واعلم أن الله سبحانه مطلع ورقيب ومن بطأ به عمله لم يسرع بـــه نسبه:﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة : ٦] .

فاتق الله حيثما كنت ، أي : في سر أمرك وفي علانيتك ، وخف من الله على قدر قربه منك وقدرته عليك ، فلست تخرج مـــن ســـلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره ، ورب العزة جل وعلا لا تضيع عنده مثاقيل الذر ، والجزاء من جنس العمل [١] .

---

[١] (الأتقياء الأخفياء /٧٩) سعيد عبد العظيم ، دار طيبة الخضراء ، مكة . ط٢ ، ١٤٢٢هـ.

قال مبارك بن فضالة : قال : كان الحسن رحمه الله تعالى يقول :

إن المؤمنين لما جاءهم هذه الدعوة من الله صدّقوا بها ، وأفضى يقينها إلى قلوبهم ، وخشعت لذلك قلوبهم وأبدانهم وأبصارهم ، وكنت والله إذا رأيتهم رأيت قوماً كأنهم رأى عين .

فوالله ما كانوا بأهل جدل ولا باطل، ولا اطمأنوا إلا إلى كتاب الله، ولا أظهروا ما ليس في قلوبهم ، ولكن جاءهم عن الله أمر فصدقوا به ، فنعتهم الله تعالى في القرآن أحسن نعت فقال : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ .

قال الحسن : الهون في كلام العرب : اللين والسكينة والوقار .

قال : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ قال : حلماء لا يجهلون ، وإذا جهل عليهم حلموا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ، ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ ينتصبون لله على أقدامهم ويفترشون وجوههم لربهم سجداً ، تجرى دموعهم على خدودهم فرقاً من ربهم [١] .

---

[١] (مجموع الحافظ ابن رجب الحنبلى ٢٩٩/١) جَمَعَهَ طلعت فؤاد الحلوانى ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر .

الانقياد للحق روح التواضع

وروح التواضع : أن يتواضع العبد لصولة الحق ، بأن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له ، والذلّ والانقياد ، والدخول تحت رقّه ، بحيث يكون الحق متصرفاً فيه تصرف المالك في مملوكه .

فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع ، ولهذا فسر النبي ﷺ الكبر بضدّه فقال : « الكبر بطر الحق ، وغمص الناس » فبطر الحق : ردّه وجحده والدفع في صدره ، كدفع الصائل ، «وغمص الناس» احتقارهم ، وازدراؤهم ومتى احتقرهم وازدراهم : دفع حقوقهم وجحدها واستهان بها ولما كان لصاحب الحق مقال وصولة : كانت النفوس المتكبرة لا تُقِرّ له بالصولة على تلك الصولة التي فيها ، ولا سيما النفوس المبطلة .

فتصول على صولة الحق بكبرها وباطلها ، فكان حقيقة التواضع : خضوع العبد لصولة الحق ، وانقياده لها ، فلا يقابلها بصولته عليها .

وركنه الأهم : التواضع للدين ، وهو أن لا يعارض بمعقول منقولاً ، ولا يتهم للدين دليلاً ، ولا يرى إلى الخلاف سبيلاً .

و«التواضع للدين» هو الانقياد لما جاء به الرسول ﷺ والاستسلام له، والإذعان وذلك بثلاثة أشياء :

الأول : أن لا يعارض شيئاً مما جاء به بشيء من المعارضات .

الثاني : أن لا يتهم دليلاً من أدلة الدين ، بحيث يظنه فاسد الدلالة ، أو ناقص الدلالة ، أو قاصرها ، أو أن غيره كان أولى منه ، ومتى عرض له شيء من ذلك فليتهم فهمه ، وليعلم أن الآفة منه ، والبلية فيه ، كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفتُه من الفهم السّقيم

ولكن تأخذ الأذهان منه ... على قدر القرائح والفُهُوم

الثالث : أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلاً ألبته ، لا بباطنه ولا بلسانه ولا بفعله ، ولا بحاله ، بل إذا أحس بشئ من الخلاف فهو كخلاف المُقدم على الزنا ، وشرب الخمر ، وقتل النفس ، بل هذا الخلاف أعظم عند الله من ذلك ، وهو داعٍ إلى النفاق ؛ وهو الذي خافه الكبار ، والأئمة على نفوسهم [1] .

---

[1] (تهذيب مدارج السالكين /٢/٦٨٢ ــ ٦٨٥) باختصار .

جمال التواضع المؤاخاه وقبول العذر

وجمال التواضع إنما يكون بأن ترضى بما رضى الحق به لنفسه عبداً من المسلمين أخاً ، وأن لا تردّ على عدّوك حقاً ، وأن تقبل من المعتذر معاذيره .

فإذا كان الله قد رضى أخاك المسلم لنفسه عبداً ، أفلا ترضى أنت به أخاً ؟ فعدم رضاك به أخاً : عين الكبر ، وأي قبيح أقبح من تكبر العبد على عبد مثله ، لا يرضى بأخوته ، والله راضٍ بعبوديته ؟

ولا تصح لك درجة «التواضع» حتى تقبل الحق ممن تحب وممن تبغض فتقبله من عدّوك كما تقبله من وليّك ، وإذا لم ترد عليه حقه ، فكيف تمنعه حقاً له قبلك ؟

بل حقيقة «التواضع» أنه إذا جاءك قبلته منه ، وإذا كان له عليك حق أدّيته إليه ، فلا تمنعك عداوته من قبول حقه ، ولا من إيتائه إيّاه .

وكذلك من أساء إليك ثم جاء يعتذر عن إساءته فإن «التواضع يوجب عليك قبول معذرته ، حقاً كانت أو باطلاً ، وتكل سريرته إلى الله تعالى، كما فعل رسول الله ﷺ في المنافقين الذين تخلفوا عنه في الغزو، فلما قدم جاءوا يعتذرون إليه فقبل أعذارهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى .

وعلامة الكرم والتواضع : أنك إذا رأيت الخلل في عذره لا توقفــه عليه ولا تحاجُّهُ وقل : يمكن أن يكون الأمر كما تقول ، ولو قضى شيء لكان ، والمقدور لا مدفع له ، ونحو ذلك [1] .

[1] (تهذيب مدارج السالكين /٢/٦٨٦، ٦٨٧) .

تمام التواضع عدم الرؤية النفس

وتمام التواضع : أن لا يرى العابد لنفسه حقاً على الله لأجل عمله ، فإنه في عبودية وفقر محض ، وذل وانكسار ، فمتى رأى لنفسه على الله حقاً :

فسدت عبوديته ، وصارت معلولة وخيف منها المقت ، ولا ينافي هذا ما أحقّه سبحانه على نفسه ، ومن إثابة عابديه وإكرامهم ، فإن هذا ما أحقه على نفسه بمحض كرمه وبرِّه وجوده وإحسانه ، لا باستحقاق العبيد ، وأنهم أوجبوه عليه بأعمالهم .

فعليك بالفرقان في هذا الموضع الذي هو مفترق الطرق ، ولتكن إجابتك لداعي الحق خالصة، إجابة ومحبة ورغبة ، وطلب للمحبوب ذاته، غير مشوبة بطلب غيره من الحظوظ والأعواض ، فإنه متى حصل لك حصل لك كل عوض وكل حظّ به وكل قَسْم .

واعلم أنه لا يستوجب العبد على الله بسعيه نجاة ولا فلاحاً ولا يُدخل أحداً عمله الجنة أبداً ، ولا ينجيه من النار .

والله تعالى بفضله وكرمه ، ومحض جوده وإحسانه أكد إحسانه وجوده وبره بأن أوجب لعبد عليه سبحانه حقاً بمقتضى الوعد ، فإن وعد

الكريم إيجاب ولو بـ«عسى ، ولعل» .

ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما : « عسى : من الله واجب » ووعد اللئيم خَلْفٌ ، ولو اقترن به العهد والحلف .

والمقصود : أن عدم رؤية العبد لنفسه حقاً على الله لا ينافي ما أوجبه الله على نفسه ، وجعله حقاً لعبده [1] .

---

[1] (تهذيب مدارج السالكين /٢/٦٨٧ ـــ ٦٨٨) باختصار .

أسباب وأمور تعين على التواضع

١ــ التفكر في أصل الإنسان : [١]

إذا عرف الإنسان نفسه ، علم أنه أذل من كل ذليل ، ويكفيه نظرة في أصل وجوده بعد العدم من تراب ، ثم من نطفة خرجت مــن مخــرج البول، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، فقد صار شيئاً مذكوراً ، بعد أن كان لا يسمع ولا يبصر ، ولا يغنى شيئاً ، فقد ابتدأ بموته قبل حياته ، وبضعفه قبل قوته ، وبفقره قبل غناه .

وقد أشار الله ــ سبحانه وتعالى ــ إلى هذا بقوله :

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ﴾[عبس: ١٨،١٩] .

ثم امتن عليه بقوله : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ﴾ [عبس : ٢٠] .

وبقوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الدهر : ٢] .

لقد أحياه الله بعد موت ، وأحسن تصويره ، وأخرجه إلى الــدنيا ، فأشبعه وأرواه ، وكساه وهداه ، وقواه .

---

[١] (التواضع في ضوء القرآن والسنة الصحيحة /٣١، ٣٢) سليم الهلالي ، دار ابــن القــيم ، الدمام .

فمن هذا بدايته ، فأى وجه لتكبره وفخره وخيلائه ؟!

قال ابن حبان رحمه الله :

وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة مَذِرَةٍ ، وآخره يعود إلى جيفة قذرة ، وهو بينهما يحمل العذرة .اهـ[١]

٢ــ معرفة الإنسان قَدْرَهُ :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الإسراء : ٣٧] .

قال العلامة الشنقيطى رحمه الله :

أي أنت أيها المتكبر المختال : ضعيف حقير عاجز محصور بين جمادين أنت عاجز عن التأثير فيها ، فالأرض التي تحتك لا تقدر أن تؤثر فيها بشدة وطئك عليها ، والجبال الشامخة فوقك لا يبلغ طولك طولها ، فاعرف قدرك ، ولا تتكبر ، ولا تمش في الأرض مرحاً . اهـ[٢]

ولقد أجاد من قال :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً ... فكم تحتها قوم هُمُ منك أرفع

---

[١] (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : ٦١) .

[٢] (أضواء البيان : ٣/ ٥٩٢) .

فإن كنت في عزّ وخـير ومَنْعة ... فكم مات من قوم هم منك أوضع [(١)]

٣ـ تقوى الله :

وهذا من أول الأمور والأسباب التي تعين المـرء علـى التواضـع ، وتردعه عن أخلاق أهل السفه والكبر .

لأن التقوى وقاية من كل ما يغضب الله تعالى ، وفعل جميع الطاعات التي أمر الله تعالى بها ، فالكبر كبيرة من الكبائر ولا يتـصف بهـا أهـل التقوى ، والتواضع من محاسن الأخلاق وحتماً ولابد أنه يكون في أهـل التقوى .

وهذا شئ يجب أن يكون مركوزاً في فطرة كل إنسان ، وخاصة إذا كان بالمرء تيه وعجب ، عليه أن يعلم أن الأيام دول ،يوم لـك ويـوم عليك ، فلا ينبغي للعاقل أن يفرح بدنيا أقبلت عليه ومن ثمّ يشمخ بها ، ويتعالى بنعم الله على عباد الله والله يقـول : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ فمن تذكر دائماً هذه السنّة الكونية خضع لإخوانـه ولعامـة الناس ، وخفض جناحه لهم ، لأنه ربما تقلبت به الدنيا ، فيذل بعـد أن كان عزيزاً ، ويفتقر بعد أن كان غنياً ، ويعلو عنه من كان يترفع عليه ،

---

(١) (روضة العقلاء .../٦١) .

فلمَ الكبر والتيه والعجب ؟!

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص : ٨٣] .

٥ــ عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ! :

مما لا شك فيه أن المرء يحب أن يتواضع له الناس ، ويخفضوا جناحهم له ، ويعاملوه برفق ولين ، ويبغض من ناحية أخرى ، من يغلظ له ، ومن يتكبر عليه بأي صورة من الصور .

ولو كان المرء جراباً حشي كبراً لتألّم وتأفّف أيضاً ممن يتكبر عليه ، فلم الكيل بمكيالين ؟!!

٦ــ تذكر الأمراض والأوجاع والمصائب :

قال لي بعض الإخوان ممن ابتلاه الله بمرض عضال ــ أسأل الله تعالى أن يعافيه وجميع مرضى المسلمين ــ لقد كنت جباراً قبل أن يصيبني الله بهذا المرض ، كنت أتكبر على خلق الله ولا أرعى ودّاً لهؤلاء البشر وخاصة الضعفة والمحتاجين ، فلمّا ابتلاني الله بهذا المرض طفقت أتودد إلى الناس وخاصة الضعفاء والمساكين ، بل وأطلب منهم الدعاء بالشفاء ، وترتسم البسمة على وجهي تلقائياً إذا رأيت أحداً من الناس !!!

ألا ما أضعف الإنسان !! وما أقل عقل أهل البطش والكبر !!

وما أجمل التواضع واللين !!

فلو رأيت أهل البلاء بشتى صنوفهم للمست التواضع يعلو وجوههم وأبدانهم !

انظر إلى من غلّه المرض ، واستوثق منه الوجع ،وهدّه الألم ، انظــر إليه إذا جاء الزائر يزوره ! وطالع محياه ، فسترى فاقة وكسرة وحاجة إلى كل إنسان !

فهو يأنس بهذا ! ويَشُدّ على يد هذا ! ويطلب الدعاء من آخر !

ويتشوف إلى رنين الهاتف فلربما سمع كلمة تشد مـــن أزره أو ربمـــا سعد بدعوة مجابة أو ....

أليس في هذا الحال درس لكل من اختال يوماً ، أو تطاول حيناً ، أو تكبّر زمناً ؟!

بلى والله .

وما قيل هنا ، يقال في أهل المصائب كافة ، فلماذا التجمل بالتواضع عند الضّر ، والافتخار والمباهاة والأشر والكبر عند الرخـــاء والنعمـــة في العلن والسر ؟!

٧ــ طهر قلبك :

القلب إذا صلح صلح العمل كله بإذن الله تعـــالى فعلـــى مـــن أراد اكتساب خلق التواضع أن يطهر قلبه من الأمراض التي عصفت به مـــن

حقد وحسد وعجب وغرور لأن القلب هو موطن هذه الأمراض كلها .

فمن كان على تطهير قلبه من هذه الأمراض قادر فهو على غـــرس خلق التواضع في قلبه أقدر بإذن الله تعالى .

التواضع في واحة الشعر *

(أ)

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قــوم هم منك أرفع

فإن كنت في عز وخــير ومنَعــةْ فكم مات من قوم هم منك أمنع

(ب)

دع التيه والعبوس

ودع التيه والعبوس على النا س فإن العُبُوس رأس الحماقة

كلما شئت أن تعادى عاديــ ت صديقاً وقد تغر الصداقة

(ج)

التواضع رفعة

الكبر ذل والتواضع رفعــة والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص فقر والقناعة عزة واليأس من صنع الإله قنــوط

---

* (روضة العقلاء ونــزهة الفضلاء /٦١) (غذاء الألباب شرح منظومــة الأداب /١٨٢/٢) للسفاريني ، دار الكتب العلمية بيروت .

(د)

أحسن الأخلاق التواضع

وأحسن أخـــلاق الفتى وأتمها ... تواضعه للناس وهو رفيع

وأقبح شيء أن يرى المرء نفسه ... رفيعاً وعند العالمين وضيع

الصبر وأنواعه والترغيب فيه وفضله ، وصور من صبر الصحابة والرسول والأسباب التي تعين عليه وأثره في حياة المسلم



تمهيد

فإن الله سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبو ، وصارماً لا ينبو ، وجنداً لا يُهزم وحصناً حصيناً لا يهدم ولا يثلم ، فهو والنصر أخوان شقيقان فالنصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب والعسر مع اليسر ، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد ،ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد .

ولقد ضمن الوفى الصادق لأهله في محكم الكتاب أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب ، وأخبرهم أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين فقال تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال] .

فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة ، وفازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة .

والصبر آخية المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها ، وساق إيمانه الذى لا اعتماد له إلا عليها ، فلا إيمان لمن لا صبر له ، وإن كان فإيمان قليل في غاية الضعف ، وصاحبه ممّن يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ،لم يحظ منهما إلا بالصفقة الخاسرة .

فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم وترقّوا إلى أعلى المنازل بشكرهم

فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [١] .

والعبد محتاج إلى الصبر في جميع أحواله ، ولا يستغنى عنه إلى الممات لأنه إما يكون في أمر يجب عليه امتثاله أو نهى يجب عليه اجتنابه ، أو مصيبة تجرى عليه أو نعمة يجب شكر المنعم عليها وعدم البطر والكبر والاغترار بها وهو في هذا كله وفي غيره يحتاج إلى الصبر أشد من حاجته إلى الطعام والشراب .

---

[١] (عدة الصابرين / ١٠، ١٣) لابن القيم .

تعريف الصبر *

الصبر لغة : حبس النفس عن الجزع .

وقيل : الحبس والمنع ، وهو ضد الجزع ، يقال صبر صبراً ، أي تجلّد ولم يجزع ، وصبر : انتظر ، وصبّر نفسه : حبسها وضبطها .

وصبر فلاناً : حبسه ، وصَبَرتُ صبراً : حبست النفس عن الجَزَع ، وسمى الصوم صبراً : لما فيه من حبس النفس عن الطعام ، والشراب ، والنكاح .

ويقال : صَبَرَ يَصبِرُ صبراً ، ويصبرٌ نفسه .

وسئل الجُنيد عن الصبر فقال : تجرُّع المرارة من غير تعبُّس .

---

* ولمن أراد أن يتوسع في أمر الصبر فلينظر (الصبر على ضوء الكتاب والسنة) محمد بن فهيد الدوسري، دار الوطن، ط١، ١٤٢٣هـ.

(عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) لابن القيم ، تحقيق محمد عبدالقادر الفاضلى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ . (الصبر في القرآن الكريم) د/يوسف القرضاوى ، مؤسسة الرسالة ، ط١٠، ١٤٢٢هـ. (الأخلاق الإسلامية وأسُسُها /٢/٣٠٥ـ ٣٦٩) عبدالرحمن الميداني دار القلم ، بيروت ، دمشق ، ط٣ ، ١٤١٣هـ . (أنواع الصبر ومجالاته) د/سعيد بن وهف القحطاني ، ١٤٢٢هـ . (فصول من الأخلاق الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة /١١٢ـ ١٢٤) د/عبدالله بن سيف الأزدي ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ومراجع أخرى أذكرها عند الحاجة إليها في هذه المقدمة غير ما ذكر .

وقيل : معناه : صبر صبراً، تجلّد ولم يجزع وانتظر في هدوء واطمئنان.

معناه شرعاً : حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن التشكي ، والجوارح عن لطم الخدود ، وشقق الجيوب ، ونتف الشعر .

وقيل : هو حبس النفس ، ومنع الجوارح واللسان عن كل ما نهى الله عنه ، ابتغاء مرضاته ، وطعماً في ثوابه ، وخوفاً من عقابه .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [الرعد : ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الكهف : ٢٨] .

وقال عمر بن عثمان : هو الثبات مع الله ، وتلقى بلائه بالرحب والدعة .

وقال الخوّاص : « هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة » .

حكم الصبر

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

أنه واجب باتفاق الأئمة، وكذلك قال به تلميذه ابن القيم رحمه الله.

لذا فلابد من الصبر على القيام بالواجبات وترك المحرمات ، والصبر على المصائب مع أنه يكره للمرء أن يوجب على نفسه شيئاً لم يوجبه الله ﷻ ، إمّا بعهد أو نذر أو طلب ولاية أو نحو ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

وبالجملة :

فالصبر على الواجب ، وعن الواجب حرام ، والصبر عن الحرام واجب ، وعليه حرام ، والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه .

والصبر على المستحب مستحب ، وعنه مكروه ، والصبر عن المباح مباح ، وعليه مباح .

والصبر المحمود،والمأجور عليه صاحبه هو ماالشتمل على شروط ثلاثة :

١ــ الإخلاص لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر] .

٢ــ عدم التشكى للعباد .

٣ــ أن الصبر عند الصدمة الأولى .

أنواع الصبر

١ــ الصبر على طاعة الله :

الطريق إلى الله تعالى مليئة بالعوائق ، لأن النفس بطبعها تنفر من القيود ، والعبودية لله قيد لشهوات النفس ، ولذلك فالنفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة ، فلابد من ترويضها ، وكبح جماحها ، وهذا يحتاج إلى اصطبار .

قال تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم] .

وقال جل ثناؤه : ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾[طه : ١٣٢].

٢ــ الصبر عن المعاصي والمحرمات :

إذا أخذت الدنيا زينتها وأقبلت على الإنسان تتراقص كالحسناء اللعوب ونشرت شهواتها ذات اليمين وذات الشمال ، فهذا لون جديد من الابتلاء ، إنه فتنة السّراء ، لأن الله يبلو عباده بالشر والخير .

قال تعالى: ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء] .

ولذلك فالعبد محتاج إلى الصبر عن ملاذ الدنيا ، وشهوات النفس ، فلا يطلق لها العنان لتسترسل وراء شهواتها من النساء والبنين والقناطر

المقنطرة من الذهب والفضة والخيل والمسومة والأنعام والحرث .

٣ـ الصبر على المصائب وأقدار الله المؤلمة :

لا أحد يسلم من آلام النفس وأمراض البدن وفقدان الأحباء ، وخسران المال ، وهذا لا يخلو منه بر ولا فاجر ، ولا مؤمن ولا كافر .

ولكن المؤمن يتلقى هذه المصائب برضى وطمأنينة تفعم قلبه الذي أسلم قياده لمقلب القلوب والأبصار ، لأنه يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة] .

وفي هذا المجال كان صبر أنبياء الله مثلاً يقتدى ، فأيوب عليه السلام صبر على مرضه وفقد أهله ، ويعقوب عليه السلام صبر على فراق ولده وكيد أبنائه ويوسف عليه السلام صبر على السجن والافتراء والدس والتشويه ، ومحمد ﷺ صبر على كسر رباعيته ،وشج وجنته ، ووضع سلا الجزور على ظهره ﷺ

الترغيب في الصبر من كتاب الله تعالى

١ــ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران] .

قال السعدي رحمه الله :

ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح وهو الفوز والسعادة والنجاح ، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر ، والذي هو حبس النفس على ما تكرهه من ترك المعاصي ومن الصبر على المصائب ، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس ، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك .

والمصابرة أي : الملازمة والاستمرار على ذلك على الدوام ، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال .

والمرابطة : وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه ، وأن يراقبوا أعداءهم ، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم لعلهم يفلحون ويفوزون بالمحبوب الديني والدنيوي والأخرى ، وينجون من المكروه كذلك .

فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة والمذكورات فلم يفلح من أفلح بها ، ولم يفت أحداً الفلاح إلا بالإخلال

بها أو ببعضها والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا به .اهـــ

٢ـــ قال تعالى :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة] .

قال الجزائري حفظه الله :

يقسم تعالى لعباده المؤمنين على أنه يبتليهم بشيء من الخوف بواسطة أعدائه وأعدائهم وهم الكفار عندما يشنون الحروب عليهم بالجوع لحصار العدو ولغيره من الأسباب ، وينقص الأموال كموت الماشـــية للحـــرب والقحط ، وبالأنفس كموت الرجال ، وبفساد الثمار بالجوائح .

كل ذلك لإظهار من يصبر على إيمانه وطاعة ربـــه بامتثـــال أمـــره واجتناب نهيه ، ومن لا يصبر فيحرم ولاية الله وأجره ، ثم أمر رسوله بأن يبشر الصابرين﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ إنا لله ، فله أن يصيبنا بما شاء لأنا ملكه وعبيده ، وإنا إليـــه راجعـــون بالموت فلا جزع إذاً ، ولكن تسليم لحكمه ورضاً بقضائه وقدره . اهـــ

٣ـــ وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر].

قال ابن الجوزي رحمه الله :

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ الذين صبروا لأجل الله تعالى على مـــا نـــالهم

﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي : يعطون عطاءً كثيراً أوسع من أن يُحسَبَ وأعظم من أن يحاط به ، لا على قدر أعمالهم . اهـ من زاد المسير

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله :

قال الأوزاعي : ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يغرف لهم غَرْفاً .

وقال ابن جريج : بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ، ولكن يزادون على ذلك .اهـ

قال ابن القيم رحمه الله :

قال سليمان بن القاسم «كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر» قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال : كالماء المنهمر . اهـ من عدة الصابرين .

٤ـ وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[الشورى] .

قال السعدى رحمه الله :

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ على ما يناله من أذى الخلق ﴿وَغَفَرَ﴾ لهم ، بأن سمح لهم عمّا يصدر منهم ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي : لمن الأمور التي حث الله عليها وأكدها ،وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة ، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم ،وذو

الألباب والبصائر .

فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل ، من أشق شيء عليها ، والصبر على الأذى والصفح عنه ، ومغفرته ، ومقابلته بالإحسان ، أشق وأشق .

ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك ، ثم إذا ذاق العبد حلاوته ،ووجد آثاره ، تلقاه برحب الصدر ، وسعة الخلق ، والتلذذ فيه . اهـ

٥ـ وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة] .

يقول السعدي رحمه الله :

أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدينية والدنيوية ﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ فالصبر : هو حبس النفس وكفها على ما تكره .

فهو ثلاثة أقسام :

صبرها على طاعة الله حتى تؤديها .

وعن معصية الله حتى تتركها .

وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها .

يـــدرك مطلـــوبه، خصوصاً الطاعات الشاقة المستمرة ، فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر ، وتجرع المرارة الشاقة ، فإذا لازم صاحبها الصبر فـــاز بالنجاح ، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها ، و لم يـــدرك شــيئاً وحصل على الحرمان ، وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد ، فهذه لا يمكن تركها إلا بصبر عظيم ، وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى ،واستعانة بالله على العصمة منها ، فإنها من الفتن الكبار .

وكذلك البلاء الشاق خصوصاً إن استمر ، فهذا تضعف معه القوى النفســانية والجسدية ، ويوجد مقتضاها وهو التسخط ، وإن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله والتوكل عليه ، واللجأ إليه والافتقار على الدوام .

فعلمـــت أن الصـــبر محتاج إليه العبد ، بل مضطر في كل حالة من أحواله فلهذا أمر الله تعالى به ، وأخبر أنه ﴿مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ .

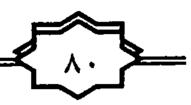
أي : مـــع مـــن كان الصبر لهم خلقاً وصفة وملكة بمعونته وتوفيقه وتســـديده ، فهانـــت عليهم بذلك المشاق والمكاره ، وسهل عليهم كل عظيم ، وزالت عنهم كل صعوبة .

وهذه معية خاصة تقتضي محبته ومعونته ونصره وقربه ، وهذه منقبة عظيمة للصابرين ، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية

عظيمة للصابرين ، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلاً وشرفاً .

وأما المعية العامة فهي معية العلم والقدرة ، كما في قولـــه تعـــالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وهذه عامة للخلق . اهـ

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً .



الترغيب في الصبر من السنة المطهرة

*** والله ليتمنّ هذا الأمر**

١ـ عن خباب بن الأرتّ قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّد بُردةً له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا ؟ فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويُمشط بأمشاط من الحديد من دون لحمه وعظمه ، فما يصدُّه ذلك عن دينه . والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء على حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » [1] .

وفي رواية أخرى للبخاري : أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا : ألا تدعوا الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه ، فقال : « لقد كان الرجل ليمشط بأمشاط من الحديد مادون لحمه وعظمه ما يصدّه ذلك عن دينه » [2] .

---

(١) البخاري : كتاب الإكراه ، باب : من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ، رقم (٦٩٤٣) (فتح /٣٩/١٢) .

(٢) البخاري : كتاب الإكراه ، باب : من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ،

ربما كان من الحكم في ذلك أن يظهر للأعداء عظمة هذا الـــدين ، وأنه هو الدين الحق لما يتمثل به أتباعه من الصبر الطويل علـــى الأذى ، والمقدرة الفائقة على ضبط النفس ، حيث يتساءل الأعداء مـــن الـــسر الكامن وراء الصبر والثبات ، فلا يجدون إجابـــة علـــى تـــساؤلاتهم إلا بالتفكير في هذا الدين العظيم الذى كان وراء هذا الـــصمود العجيـــب والصبر الجميل .

ومن هذه النماذج العالية نعرف كيف كان الصحابة رضى الله عنهم يضحون بأنفسهم في سبيل هذا الدين ويتحملون أنواع الأذى في ســـبيل إظهار دعوتهم ، حتى ضربوا بذلك أروع الأمثلة لمن جاء بعدهم في الصبر والتضحية ، وتقديم مصلحة الدعوة الإسلامية على المصالح الذاتية [1] .

عجباً لأمر المؤمن :

٢ـــ عن صهيب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير له ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته ســـرّاء

رقم (٦٩٤٣) (فتح /١٢/٣٩) .

[1] (التاريخ الإسلامي مواقف وعبر / ٢/ ٥٧، ٦٧) د/ عبدالعزيز الحميدى ، دار الأندلس الخضراء جده ، ط، ١٤١٨هـــ .

شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له » [١] .

فأخبر النبي ﷺ أن المؤمن يتضاعف غنمه وخيره وثمرات أعماله في كل ما يطرقه من السرور والمكاره .

لهذا تجد اثنين تطرقهما نائبة من نوائب الخير والشر فيتفاوتان تفاوتاً عظيماً في تلقيهما وذلك بحسب تفاوتهما في الإيمان والعمل الصالح .

هذا الموصوف بهذين الوصفين يتلقى الخير والشر بما ذكرنا من الشكر والصبر ، وما يتبعهما فيحدث له السرور والابتهاج وزوال الهم والغم والقلق ، وضيق الصدر وشقاء الحياة، وتتم له الحياة الطيبة في هذه الدار.

والآخر يتلقى المحاب بأشر وبطر وطغيان فتنحرف أخلاقه ويتلقاها كما يتلقاها البهائم بجشع وهلع ومع ذلك فإنه غير مستريح القلب بل مشتت من جهات عديدة ...

ويتلقى المكاره بقلق وجزع وضجر وخوف فلا تسأل عمّا يحدث له من شقاء الحياة ومن الأمراض الفكرية والعصبية ومن الخوف الذي قد يصل به إلى أسوأ الحالات وأفظع المزعجات لأنه لايرجو ثواباً لا صبر عنده يسليه ويهون عليه .

---

(١) مسلم : كتاب الزهد ، باب : المؤمن أمر كله خير ، رقم (٧٤٢٥) (نووى /١٨/٣٢٥) .



وكل هذا مشاهد بالتجربة ، ومثل واحد من هذا النوع إذا تدبرته ونـزّلته على أحوال الناس رأيت الفرق العظيم بين المؤمن بالله ورسوله والمقتدى به ﷺ كما أمر شرعاً وبين من لم يكن كذلك [1] اهـ .

اتقي الله واصبري :

٣ـ عن أنس بن مالك ﷺ قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكى عند قبر فقال : « اتقى الله واصبرى» قالت : إليك عنى ، فإنك لم تصب بمصيبتى ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقال: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[2].

قال بن القيم رحمه الله :

وقو له ﷺ الصبر عند الصدمة الأولى مثل قوله : «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه وقت الغضب » .

فإن مفاجئات المصيبة بغتة ، لها روعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمها .

فإن صبر للصدمة الأولى انكسر حدّها وضعفت قوتها فهان عليه استدامة الصبر ، وأيضاً فإن المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن

---

[1] (الوسائل المفيدة للحياة السعيدة /٣ـ٥) للسعدي .

[2] البخاري : كتاب الجنائز : باب ، زيارة القبور ، رقم (١٢٨٣) (فتح /٣/١٩١) .

فتـــزعجه وهي الصدمة الأولى .

وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطّن لها وعلم أنه لابد لـــه منـــها فيصبح صبره شبيه الاضطرار .

وهذه المرأة لما علمت أن جزعها لا يجدي عليها شيئاً جاءت تعتـــذر إلى النبي ﷺ كأنها تقول له : قد صبرت فأخبرها أن الصبر إنما هو عنـــد الصدمة الأولى . اهـــ [١]

الصـبر رزق :

٤ــ عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رُزق عبد خيراً له ولا أوسع من الصبر » [٢] .

قال المناوي رحمه الله :

لأنه ــ أي الصبر ــ إكليل للإيمان ، وأوفر المؤمنين حظاً من الصبر أوفرهم حظاً من القرب من الرب .

والصبر رزق من الله لا يستبد العبد بكسبه وما يضاف إلى كـــسب العبد هو التصبر ، فإذا حمل على نفسه التصبر أمده الله بكمال الصبر وفي الخبر « من يتصبر يصبره الله » فإذا رزقه الصبر كان أوسع من كل نعمة

---

(١) (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين /٩٢) .

(٢) صحيح : صحيح الجامع رقم (٥٦٢٦) والصحيحة رقم (٤٤٨) .

واسعة لأنه يسهل بالصبر جميع الخيرات ، وتــرك المنكــرات وتحمــل المكروهات المقدرات ، والرزق المشار إليه رزق الدين والإيمان .اهـ [١]

٥ــ عن أبي يحي أسيد بن حُضَير ﷺ أن رجلاً من الأنصار قــال : يــا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلاناً فقال : «إنكم ستلقون بعدى أَثَرَة [٢] ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » [٣] .

فأفاد قوله ﷺ : «سترون بعدى أثرة» نفى ظن السائل أن رسول الله ﷺ آثر الذى ولاه عليه ، فبين ﷺ أن ذلك لا يقع في زمانه ،وأنه لم يخصه بذلك لذاته وإنما لمصلحة المسلمين وإن الاستئثار للحظ الدنيوي إنما يقــع بعده .

وفي الحديث الصبر على ظلم الحاكم إذا استأثر بدنيا ،وعدم الخروج عليه ما لم يأت بكفر بواح . اهـ [٤]

---

[١] (فيض القدير شرح الجامع الصغير /٥/٤٤٧) دار الحديث ، القاهرة .

[٢] إنكم ستلقون بعدى أثرة : والمعنى أنه يستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك في الاستحقاق (فتح /٨/٦٥) .

[٣] مسلم : كتاب الإمارة ، باب : الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم رقم (٤٧٥٦) (نووى /١٢/٤٣٨) .

[٤] (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين /١/١١٦) سليم الهلالى ، دار ابن الجوزي ، الدمام.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

قوله : « فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » أي يوم القيامة ، فاصبروا حتى تموتوا فإنكم ستجدونني عند الحوض ، فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم والثواب الجزيل على الصبر . اهـ [١]

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ،وإنما أوردت هنا ما يناسب موضوع الرسالة باختصار .

---

[١] (فتح الباري /٨/٦٥) .

محمد ﷺ صابراً

لا يعلم أحد مرّ به من المصائب والمصاعب والمشاق والأزمات كما مرّ به ﷺ وهو صابر محتسب ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[النحل: ١٢٧].

صبر على اليتم والفقر والعوز والجوع والحاجة والتعب والحسد والشماتة وغلبة العدو أحياناً ، وصبر على الطرد من الوطن والإخراج من الدار والإبعاد عن الأهل ، وصبر على قتل القرابة والفتك بالأصحاب، وتشريد الأتباع وتكالب الأعداء ، وتحزّب الخصوم ، واجتماع المحاربين وصلف المغرضين وكبر الجبارين وجهل الأعراب ، و جفاء البادية ومكر اليهود ،وعتوّا النصارى وخبث المنافقين وضرواة المحاربين ، وصبر على تجهم القريب وتكالب البعيد ،وصولة الباطل وطغيان المكذبين ..

صبر عن الدنيا بزينتها وزخرفها وذهبها وفضتها ، فلم يتعلق منها بشيء وصبر على إغراء الولاية ، وبريق المنصب ، وشهوة الرئاسة ، فصدف عن ذلك كله طلباً لمرضاة ربه .

فهو ﷺ الصابر المحتسب في كل شأن من شؤون حياته ، فالصبر درعه وترسه وصاحبه وحليفه ، كلما أزعجه كلام أعدائه تذكر ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [طه : ١٣] وكلما بلغ به الحال أشدّه والأمر أضيقه تذكر : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: ١٨] وكلما راعه هول العدو



وأقض مضجعه تخطيط الكفار تذكر ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

وصبره ﷺ صبر الواثق بنصر الله المطمئن إلى وعد الله ، الراكن إلى مولاه ، المحتسب الثواب من ربه جلّ في علاه ، وصبره صبر من علم أن الله سوف ينصره لا محالة ،وأن العاقبة له ، وأن الله معه ،وأن الله حسبه وكافية ، يصبر ﷺ على ا لكلمة النابية فلا تهزّه ،وعلى اللفظة الجارحة فلا تزعجه ، وعلى الإيذاء المتعمد فلا ينال منه .

مات عمه فصبر ، وماتت زوجته فصبر ، وقتل حمزة فصبر ، وأبعد عن مكة فصبر ، وتوفي ابنه فصبر ، ورميت زوجته الطاهرة فصبر ، وكُذِّب فصبر ، قالوا له شاعر كاهن ساحر مجنون كاذب مفتر فصبر ، أخرجوه ، آذوه ، شتموه ، سبوه ، حاربوه ، سجنوه ..فصبر .

هل يُتعلم الصبر إلا منه ؟ وهل يُقتدى بأحد في الصبر إلا به ؟

فهو مضرب المثل في سعة الصدر ، وجليل الصبر ، وعظيم التجمل وثبات القلب ، وهو إمام الصابرين ، وقدوة الشاكرين ﷺ [1] .

---

[1] (محمد ﷺ كأنك تراه /٣١ـــ ٣٣) د/ عائض القرني ، دار ابن حزم ، بيروت .

صور من صبر الصحابة
رضي الله عنهم *

الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ لهم مواقف كثيرة جداً لا يـــستطيع أحد أن يحصرها ، لأنهم ــ رضي الله عنهم ــ باعوا أنفسهم ،وأمـــوالهم وحياتهم لله ، ابتغاء مرضاته ، وخوفاً من عقابه ، ففازوا بسعادة الـــدنيا والآخرة ، ومن درس حياتهم ، ونظر إلى تطبيقاتهم للإسلام قولاً ، وعملاً، واعتقاداً ازداد إيمانه، وأحبهم فيحصل له بذلك الصبر الجميل ومحبة الله تعالى .

صبر بلال :

بلال بن رباح ﷺ كان يعذبه أمية بن خلف على توحيده وإيمانه بالله ــ تعالى ــ وقد عذبه أشد العذاب .

ومن ذلك أن أمية كان يُخرجُ بلالاً إذا حميت الشمس في الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضـــع على صدره ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء : «أحدٌ أحدٌ » .

---

* (أنواع الصبر ومجالاته /١٢٨ــ ١٤٤) (مواقف إيمانية /٢٨٧ــ ٣٢٦) أحمد فريـــد ، دار طيبة ، ط٣ ، ١٤٢٢هـــ .

وهذا الكلمة التي زعزعت كيان أمية بن خلف [(١)] .

صبر آل ياسر :

وهذا عمار بن ياسر ، وأبوه ياسر ،وأمه سُمية ـــ رضي الله عنهم ـــ يُعذبون أشد العذاب من أجل إيمانهم بالله ـــ تعالى ـــ فلم يردهم ذلك العذاب عن دينهم ، لأنهم صدقوا مع الله فصدقهم الله ـــ تعالى ـــ ولهذا قيل لهم : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » [(٢)] فرضي الله عنهم وأرضاهم . [(٣)]

صبر صهيب الرومي :

وهذا صهيب الرومي ﷺ أراد الهجرة فمنعه كفار قريش أن يهاجر بماله ، وإن أحب أن يتجرد من ماله ويدفعه إليهم تركوه وما أراد ، فأعطاهم ماله ونجى بدينه مهاجراً إلى الله ورسوله .

وأنزل الله ﷻ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [البقرة] .

فتلقاه عمر بن الخطاب ﷺ وجماعة إلى طرف الحرّة فقالوا له: ربح البيع.

---

(١) انظر «الإصابة في تمييز الصحابة /١/١٦٥) (سيرة ابن هشام /١/٣٤٠) .

(٢) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٣/٣٨٨) (مجمع الزوائد /٩/٢٩٣) .

(٣) (سير أعلام النبلاء /١/٤٠٦) (الإصابة /٢/٥١٢) (سيرة أبن هشام /١/٣٤٢) .

فقال : وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم ،وما ذاك ؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية [١] .

صبر عبدالله ابن حذافة :

وجَّه عمر بن الخطاب ﷺ جيشاً إلى الروم ، فأسروا عبدالله بن حذافة، فذهبوا به إلى ملكهم .

فقالوا : إن هذا من أصحاب محمد . فقال : هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي ؟ قال : لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملك، وجميع ملك العرب ، ما رجعت عن دين محمد ﷺ طرفة عين .

قال : إذاً أقتلك ، قال : أنت وذاك ، فأُمر به فصلب وقال للرماة : ارموه قريباً من بدنه ، وهو يعرض عليه ويأبى ولم يجزع ، فأنزله ،وأمر بقدر فصب فيه ماء وأغلى عليه حتى احترقت ، ودعا بأسيرين من المسلمين ، فأمر بأحدهما ، فألقى فيها ، فإذا عظامه تلوح ،وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبي ، فأمر بإلقائه في القدر إن لم يتنصر ، فلما ذهبوا به بكى ، فقيل للملك : إنه بكى ، فظن أنه قد جزع ، فقال : ردوه .

---

[١] انظر (تفسير ابن كثير /٢٤٨/١) (سير أعلام النبلاء / ١٧/٢/ ٢٦) (الإصابة في تمييز الصحابة /١٩٥/٢) .

فقال : ما أبكاك ؟ قال : قلت هي نفس واحدة تُلقى الساعة فتذهب فكنت أشتهى أن يكون بعدد شعري أنفس تلقى في النار في الله .

فتعجب الطاغية فقال له : هل لك أن تُقبل رأسي وأخلى عنك ؟ فقال له : عبدالله : وعن جميع أسارى المسلمين ؟ قال : نعم فقبل رأسه ، فخلى عنهم ، وقدم بالأسارى على عمر ، فأخبره خبره .

فقال عمر : حق على كل مسلم أن يُقبل رأس عبدالله بن حذافة ، وأنا أبدأ ، فقبل رأسه [1] .

صبر أم سليم:

عن أنس ﷺ قال : اشتكى ابن لأبي طلحة ، فمات ، وأبوه طلحة خارج ، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ، وجعلت ابنها في جانب البيت فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟

قالت : قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح ،وظن أبو طلحة أنها صادقة ، قال : فبات ، فلما أصبح اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات ، فصلى مع النبي ﷺ ثم أخبره بما كان منها .

فقال رسول الله ﷺ : « لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما» فقال

[1] انظر (سير أعلام النبلاء /٢/ ١٤) (الإصابة /٢/ ٢٦٩) .

رجل من الأنصار : فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن [(١)] .

وفي بعض الروايات : أنها جاءت بغلام حنكه رسول الله ﷺ وسماه عبدالله ، وهو الذي كان سلالته الإخوة القراء .

فهذا موقف إيماني من أم سليم رضي الله عنها ، مع أن النساء أشد هلعاً وجزعاً في مثل هذه المواقف ، ولكنه الإيمان الذي يغير طبائع النفوس ويعلو بهمم العباد ،ويرفعهم في الدنيا والآخرة ، فليتأس الشخص ، وليتعلم أوصاف السابقين الأولين ، وليعلم أن الرجال أولى بهذا الصنيع .

. صبر المرأة التي كانت تُصرع :

عن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى .

قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع ،وإني أتكشف فادع الله لي . قال : «إن شئت صبرت ولك الجنة ،وإن شئت دعوت الله أن يعافيك » .

فقالت : أصبر . فقالت : إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف ، فدعا لها [(٢)] .

---

(١) البخاري : كتاب الجنائز ، باب : من لم يظهر حزنه عند المصيبة ، رقم (١٣٠١) .

(٢) البخاري : كتاب المرض ، باب : فضل من يصرع من الريح ، رقم (٥٦٥٢) .

فهذا موقف إيماني من هذه الصحابية رضي الله عنها ، آثرت ثـــواب الصبر على زوال المرض بالكلية ،وقد رغبها النبي في ثواب الصبر وهـــذا الصبر صبرٌ اختياري ، وهو أعلى رتبة من الصبر الاضطراري ، وهو شبيه باختيار يوسف عليه السلام للسجن على الحياة في قصر امرأة العزيز .

أين نحن من أخلاق السلف

في الصبر *

* قيل لابن عمر رضي الله عنهما : إنَّ أسماء بنت أبي بكر في ناحية المسجد ــ وذلك حين صُلب ابن الزبير ــ فمال إليها فقال : إن هـــذه الجثث ليست بشيء ،وإنما الأرواح عند الله فاتقى الله واصبري .

فقالت : ما يمنعني ؟ وقد أهدى رأس يحي بن زكريا إلى بغى مـــن بغايا بني إسرائيل .[٢١٥/١] .

* قال مغيرة : ذهبت عين الأحنف فقال : ذهبت من أربعين سنة ، ما شكوتها إلى أحد . [٩٢/٤] .

* الربيع بن أبي صالح قال : دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلى الحجاج فبكى رجل فقال سعيد : ما يُبكيك ؟ قال : لما أصابك .

---

* (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف شعيب الأرنؤوط .

* قال : فلا تبك ، كان في علم الله أن يكون هـذا ثم تـلا : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [الحديد : ٢٢] ، [٣٣٧/٤] .

* عن هشام بن عروة بن الزبير : أن أباه خـرج إلى الوليـد بـن عبدالملك حتى إذا كان بوادي القرى ، وجد في رجله شيئاً ، فظهرت به قرحة ، ثم ترَق به الوجع .

وقدم على الوليد وهو في محمل فقال : ياأبا عبدالله اقطعها قـال : دونك ، فدعا له الطبيب وقال : اشرب المرقد ، فلم يفعل ، فقطعها من نصف الساق فما زاد أن يقول : حس حس ، فقال الوليد : ما رأيـت شيخاً قط أصبر من هذا .

وأصيب عروة بابنه محمد في ذلك السفر ، ركضته بغلة في أصطبل ، فلم يسمع منه في ذلك كلمة ، فلما كان بوادي القرى قال : « لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً» .

اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ستة ،وكان لي أطراف أربعة ، فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ،ولئن ابتليت لقد عافيت ، ولئن أخذت لقد أبقيت . [٤٣١/٤] .

* قال سفيان الثوري قال : ليس بفقيه من لم يعد الـبلاء نعمـة ،

والرخاء مصيبة .

* عن الحسن بن صالح قال : لما احتضر أخي «علي» رفع بصره ثم قال : ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ ثم خرجت نفسه ، فنظرنا فإذا ثقب في جنبه قد وصل إلى جوفه وما علم به أحد . [٣٧٢/٧] .

* ومن كلام الفضيل ، قال : لا يجزع من المصيبة إلا من اتهم ربه .

* نظر الفضيل إلى رجل يشكو إلى رجل فقال : ياهذا تشكو من يرحمك إلا من لا يرحمك [٤٣٩/٨] .

* قال بشر الحافي : كان المعافى في الفرح والحزن واحداً ، فقتلت الخوارج له ولدين ، فما تبيّن عليه شيء ، وجمع أصحابه وأطعمهم ، ثم قال لهم : آجركم الله في فلان وفلان ، رواها جماعة عن بشر [٨٣/٩] .

* وقيل : إن أبا حفص النيسابوى دخل على مريض ، فقال المريض: آه ، فقال أبو حفص : ممن ؟ فسكت .

فقال أبو حفص : مع من ؟ قال : فكيف أقول ؟ قال : لا يكن أنينك شكوى ، ولا سكوتك تجلداً ،ولكن بين ذلك [٥١١/١٢] .

* قال الذهبي : مرض الأشرف صاحب دمشق مرضين مختلفين في

أعلاه وأسفله ، فقيل : كان الجرائحي يخرج من رأسه عظاماً وهو يحمد الله [١٢٦/٢٢] .

* وقُدّم عطاء بن أبي سعد الهروي بأصبهان ليصلب بعد أن حبسوه مدة ، فقال له الجلاّد : صل .

قال : ليس ذا وقت صلاة ، اشتغل بما أمرت به ، فإني سمعت شيخي يقول : إذا علّقت الشعير على الدابة في أسفل العقبة لا توصلك في الحال إلى أعلاها .

الصلاة نافعة في الرّخاء لا في حالة اليأس ، فوصل مسرعٌ من السلطان ومعه الخاتم بتسريحه ، كانت الخاتون معنية في حقه ، فلما أطلق رجع إلى التظلم والتشنيع . [٥٦/٢٠] .

فضائل الصبر وفوائده *

قد جاء فضل الصبر على البلاء ومدح الصابرين في كتاب الله الكريم، والسنة النبوية على ألسنة علماء السلف والصالحين .

فأما في الكتاب الكريم ، فقد ورد ذكر الصبر ،وما له من فضائل كثيرة ، وكان له نصيب كبير ضمن الآيات والسور .

وذكر ابن القيم رحمه الله : إخباراً عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره في قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾[القصص: ٥٤] .

ونحو قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر] .

ثناء الله على أهل الصبر :

ومن فضائل الصبر أن الله ـــ تعالى ـــ أثنى على أهله ، ومدحهم ، ووعدهم بالفوز في الدنيا والآخرة ،وأنه ـــ سبحانه ـــ علّق عليه خير الدنيا والآخرة .

* (عدة الصابرين/ ٧٢ ، ١١٣ ، ٨٠ ، ٩٤) لابن القيم (الصبر في القرآن الكريم /٨٧) للقرضاوي (البلايا والمصائب/١٤٣، ١٤٢) طارق محمد الطورى (منهاج القاصدين /٣٠١)

قالوا : ويكفى في فضل الصبر قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المؤمنون] فجعل فوزهم جزاء صبرهم .

وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .

قال بعض العارفين : ذهب الصابرون بخيري الدنيا والآخرة ، لأنهم نالوا معية الله .

وعْد الله العظيم للصابرين :

ومن فضائله أن الله تعالى وعد الصابرين بثلاثة أشياء ، كل واحد منهما خير من الدنيا وما عليها ، وهى صلواته تعالى عليهم ، ورحمته لهم، وتخصيصهم بالهداية في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة] .

وكان عمر ﷺ يقرؤها ويقول : نعم العدلان ، ونعمت العلاوة للصابرين ، يعنى بالعدلين : الصلاة والرحمة ،والعلاوة : الهدى .

أن الصبر ضياء :

ومن فضائل الصبر على المصائب : أن الصبر ضياء ، أي لايزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب ، وهو الصبر المحبوب بالشرع ، كما في حديث أبي مالك الأشعري ﷺ قال :

قــال رسول الله ﷺ : « والصبر ضياء» .

تكفير السيئات ورفع الدرجات :

كما في حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضـــي الله عنـــها ــ قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يُشاكها » وهذا لا شك ثمرة صبره على المصيبة التي تصيبه ويحتسبها ابتغاء مرضاة الله تعالى .

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ ، وذكر شدّة وعك النبي ﷺ : ثم قـــال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه به خطاياه كمـــا تَحُـــطُّ الـــشجرة ورقها » متفق عليه .

وقال بعض السلف : لولا مصائب الدنيا لوَرَدْنَا يوم القيامة مفاليس .

أن جعله الله سبباً للنصر :

ومن فضائل الصبر كذلك : أن جعله الله سبباً للنصر والظفر في الدنيا والجزاء الأوفى في الآخرة .

قال ابن القيم نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمهمـــا الله ــ قوله : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الـــدين ، ثم تـــلا قولـــه تعـــالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة] .

الملائكة تسلم على الصابرين :

أخبر المولى سبحانه وتعالى أن ملائكته تسلم على الصابرين في الجنة ، جزاء صبرهم على طاعته في الدنيا ، فهم الذين أصيبوا في أنفسهم، أو في أولادهم أو في أموالهم ، أو في أعراضهم .

وهم الذين أوذوا في الله عند أمرهم بالمعروف أو نهيهم عن المنكر ، أو في الدعوة إليه ، ولكنهم ليقينهم بأن الله ـــ تعالى ـــ سوف يجـــزيهم خير الجزاء صبروا وثبتوا ، وجزاهم أن سلمت عليهم الملائكة من كـــل باب بما صبروا لله وبالله وفى الله .

قال تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد] .

يا لها من عاقبة عظيمة بعد حياة حفلـــت بالمـــصائب ، والبلايـــا ، والنكد، والنصب والحزن ، ففازوا بدخول الجنة وسلام الملائكة عليهم ، الذي أنساهم مصائب الأيام السابقة ، بل ربما تمنّوا أن حياهم كلها كانت مصائب ، وذلك عندما رأوا حُسْنَ عاقبة الصبر على طاعة الله ، وعـــن معاصي الله ، وعلى أقدار الله المؤلمة .

ثناء الله على أهله في أكثر من تسعين موضعاً :

ومن فضائل الصبر أن الله ـــ تعالى ـــ أثنى على أهله في أكثر مـــن تسعين موضعاً في القرآن الكريم ، وأنه ذو مقام كريم وخلق عظيم ، ولهذا قرنه الله تعالى ، بالقيم الإسلامية العليا ، وغير ذلك كثير .

الصبر هو زاد الطريق
في هذه الدعوة

يقول سيد قطب رحمه الله :

الصبر زاد الطريق في هذه الدعوة ، إنه طريق طويل شاق ، حافل بالعقبات والإيذاء والابتلاء ، إنه الصبر على أشياء كثيرة .

الصبر على شهوات النفس ورغباتها وأطماعها ومطامحها وضعفها ، ونقصها وعجلتها وملالها من قريب، والصبر على شهوات الناس ، ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصورهم ، وانحراف طباعهم وأثرتهم وغرورهم ،والتوائهم واستعجالهم للثمار ، والصبر على تنفش الباطل ، ووقاحة الطغيان، وانتفاش الشر، وغلبة الشهوة ،وتصعير الغرور والخيلاء، والصبر على قلة الناس وضعف المعين ، وطول الطريق ووساوس الشيطان في ساعات الكرب والضيق ، والصبر على مرارة الجهاد لهذا كله وما تثيره في النفس من انفعالات متنوعة من الألم والغيظ والحنق والضيق ، وضعف الثقة أحياناً في الخير ، وقلة الرجاء أحياناً في الفطرة البشرية ،والملل واليأس أحياناً والقنوط .

والصبر على ذلك كله على ضبط النفس في ساعة القدرة والغلبة والانتصار ، واستقبال الرخاء في تواضع وشكر ،وبدون خيلاء ، والبقاء

في السراء والضراء على صلة بالله واستسلام لقدره ورد الأمر إليه كله في طمأنينة وثقة وخشوع . اهـ [١] .

ويقول في مكان آخر :

فالصبر هو العنصر الضروري للإيمان بصفة عامة ، والتواصي به يقرر درجة وراء درجة الصبر ذاته درجة تماسك الجماعة المؤمنة وتواصيها على معاني الصبر وتعاونها على تكاليف الإيمان ، فهي أعضاء متجاوبة الحس ، تشعر جميعاً شعوراً واحداً بمشقة الجهاد لتحقيق الإيمان في الأرض ، وحمل تكاليفه ، فيوصي بعضها بعضاً ، فلا تتخاذل ، ويقوى بعضها بعضاً فلا تنهزم ، وهذا أمر غير الصبر الفردي . اهـ [٢]

---

[١] (طريق الدعوة في ظلال القرآن / ١٩٨) .

[٢] (طريق الدعوة في ظلال القرآن / ٢٠٨) .

صبر الكرام وصبر اللئام(*)

كل أحد لا بد أن يصبر على بعض ما يكره ، إما اختياراً وإما اضطراراً ، فالكريم يصبر اختياراً لعلمه بحسن عاقبة الصبر ، وأنه يحمد عليه ، ويذمّ على الجزع ، وأنه إن لم يصبر لم يردّ الجزع عليه فائتاً ، و لم ينتزع منه مكروهاً ، وأن المقدور لا حيلة في دفعه ،وما لم يقدر لا حيلة في تحصيله .

فالجزع ضرّه أقرب من نفعه ، قال بعض العقلاء : العاقل عند نزول المصيبة يفعل ما يفعله الأحمق بعد شهر .

فإذا كان آخر الأمر الصبر والعبد غير محمود ، فما أحسن به أن يستقبل الأمر في أوله بما يستدبره الأحمق في آخره .

قال بعض العقلاء : من لم يصبر صبر الكرام سلا سلوّ البهائم .

فالكريم ينظر إلى المصيبة فإن رأى الجزع يردّها ويدفعها فهذا قد ينفعه الجزع ، وإن كان الجزع لا ينفعه فإنه يجعل المصيبة مصيبتين .

وأما اللئيم : فإنه يصبر اضطراراً ، فإنه يحوم حول ساحة الجزع فلا يراها تجدى عليه شيئاً فيصبر صبر الموثق للضرب .

وأيضاً : فالكريم يصبر في طاعة الرحمن واللئيم يصبر في طاعة

(*) (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين / ٦٤ ، ٦٥) لابن القيم .

الشيطان ، فاللئام أصبر الناس في طاعة أهوائهم وشهواتهم ،وأقل النـــاس صبراً في طاعة رهم ، فيصبر على البذل في طاعة الشيطان أتمّ صبر ، ولا يصبر على البذل في طاعة الله في أيسر شيء ، ويصبر على تحمل المـــشاق لهوى نفسه في مرضاة عدوه ، ولا يصبر على أدنى المشاق في مرضاة ربه ، ويصبر على ما يقال في عرضه في المعصية ، ولا يصبر علـــى مايقـــال في عرضه إذا أوذى في الله ، بل يفر من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكـــر خشية أن يتكلم في عرضه في ذات الله .

ويبذل عرضه في هوى نفسه ومرضاته صابراً على مايقـــال فيـــه ، وكذلك يصبر على التبذل بنفسه وجاهه في هوى نفسه ومراده ،ولا يصبر على التبذل لله في مرضاته وطاعته ، فهو أصبر شيء على التبذل في طاعة الشيطان ومراد النفس وأعجز شيء عن الصبر على ذلك في الله .

وهذا أعظم اللؤم ، ولا يكون صاحبه كريماً عند الله ، ولا يقوم مع أهل الكرم إذا نودي بهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ليعلم أهل الجمع من أولى بالكرم اليوم : أين المتقون ؟

فضل الصبر على المصائب والأمراض والأحزان من كلام سيد البشر ﷺ *

قال رسول الله ﷺ :

* أبشري يا أم العلاء ! فإن مرض المسلم ، يُذهب خطاياه ، كما تذهب النار خُبث الحديد .

* اثنتان يكرههما ابن آدم : يكره الموت ، والموت خير له من الفتنة ويكره قلّة المال ، وقلّة المال أقلُّ للحساب .

* إذا أحب الله قوماً ابتلاهم .

* إذا مرض العبد قال الله للكرام الكاتبين : اكتبوا لعبدي مثل الذي كان يعمل ، حتى أقبضه أو أعافيه .

* أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صُلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقّه

---

* جميع ما ورد من كلام رسول الله ﷺ من صحيح الجامع وإنما تركت اسم الراوي وكذا التخريج طلباً للإختصار ، والاكتفاء بصحة ما ورد من المتن ،وانظر (ترتيب صحيح الجامع على الأبواب الفقهية /٢/٥٠ـ٦٧) مكتبة المعارف الرياض .

ابتلى قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة .

* إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن صبر فله الصّبر ، ومن جزع فله الجزع .

* ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : «إنا لله وإنا إليـــه راجعون» اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته ، وأخلف الله له خيراً منها .

* يوّد أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لـــو أن جلودهم كانت قُرضت في الدنيا بالمقاريض .

الصبر على فقدان الولد

قال رسول الله ﷺ :

* إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟

فيقولون : نعم، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، وسمّوه بيت الحمد .

* إن الله تعالى لا يرضى لبعده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب دون الجنة .

* ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة ، يقال لهم : ادخلوا الجنة ، فيقولون : حتى يدخل أبوانا : فيقال : ادخلوا أنتم وأبواكم .

* من احتسب ثلاثة من صلبه ، دخل الجنة ، قالت امرأة : واثنان ؟ قال : واثنان .

أجر من فقد عينيه :

قال رسول الله ﷺ :

* يقول الله تعالى : من أذهبتُ حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة .

الأسباب التي تعين على الصبر

لما كان الصبر مأموراً به ، جعل الله سبحانه له أسباباً تعـين عليـه وتوصلُ إليه ، وكذلك ما أمر الله سبحانه بأمر إلاّ وأعان عليه ونصب له أسباباً تمدُّه وتعين عليه ، كما أنه ما قدَّر داءً إلا وقدّر له دواءً وضـمن الشفاء باستعماله ، فالصبر وإن كان شاقاً ثقيلاً على النفوس فتحـصيله ممكن ،وهو يتركب من مفردين :

العلم والعمل ، فمنها تركب جميع الأدوية التي تداوى بها القلـوب والأبدان ، فلابد من جزء علمي ،وجزء عملي ، فمنهما يركب الـدواء الذي هو أنفع الأدوية .

فأما الجزء العلمي فهو إدراك ما في الضرر والنقص ، فإذا أدرك هذين العلمين كما ينبغي ، أضاف إليهما العزيمة الصادقة والهمة العالية والنخوة والمروءة الإنسانية ، وضم هذا الجزء إلى هذا الجزء ، فمتى فعـل ذلـك حصل له الصبر وهانت عليه مشاقه ،وحلت له مرارته ، وانقلب ألمهُ لذة .

ولا يشك ذو مسكة عقل أن الصبر مُرَّ المذاق ، صعب على الـنفس البشرية ، لأنه يعطله عن مألوفاتها ورغباتها ، لذلك فلابد من تعويـدها عليه شيئاً فشيئاً حتى تستسيغه ، وتعض عليه بالنواجذ عنـد المـصائب

والفتن [(١)]

ودونك جملة من الأمور التي تعين على الصبر ، وتهوّنه على النفس ، ومنها : [(٢)]

١ـ المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا :

فأقرب ما يعين الإنسان على الصبر، وخاصة على النوائب والشدائد، أن يعرف أن الحياة التي يعيش فيها ليس جنة نعيم ، ولا دار خلود ، إنما هي ابتلاء وتكليف ، خلق الإنسان فيها ليصقل ويبتلى ليعد لحياة الخلود في الدار الباقية ومن عرف الحياة على هذا النحو لم يفاجأ بكوارثها ، فالشيء من معدنه لا يستغرب .

أما من كان من الناس يتصور الحياة طريقاً مفروشة بالأزهار والرياحين ، فإنه إذا نزل به شيء مهما قل وضؤل ، كان أشد ما يكون على نفسه ، لأنه لم يكن يتوقع شيئاً منه .

والقرآن الكريم يشير إلى أن حياة الإنسان محفوفة بالمتاعب والمشقة ، حين يقول : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾[البلد] .

---

(١) (عدة الصابرين .../٦٦) لابن القيم .

(٢) (الصبر في القرآن الكريم /٩١ـ١١٣) للقرضاوي باختصار (زاد المعاد /٤/١٧٣ـ١٨٥) باختصار .

كما يشير إلى طبيعة الحياة وداوم تغيرها ،وأنها لا تثبت على حال ، فيوم لك ، ويوم عليك ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] .

يقول العلامة ابن القيم في «زاد المعاد» في بيان علاج حر المصيبة وحزنها :

ومن علاجه : أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب ، ليعلم أنه في كل واد بنو سعد ، لينظر يمنة فهل يرى إلا محنة ، ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة ؟ وإنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى .

إما بفوات محبوب .

أو حصول مكروه .

وإن سرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل ، وإن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً وإن سرت يوماً أساءت دهراً ، وإن متعت قليلاً ، منعت طويلاً وما ملأت داراً حبرة إلا ملأتها عبرة ، ولا سرته بيوم سرور ، إلا خبأت له يوم شرور .

وقال ابن مسعود : لكل فرحة ترحة ، وما ملئ بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً .

وقال ابن سيرين : ماكان ضحك قط ، إلا كان من بعده بكاء .

٢ــ معرفة الإنسان أنه ملك لله تعالى :

فإذا نزل بالمرء نازل سلبه شيئاً مما عنده ، فإنما استرد صاحب الملك بعض ما وهب ، ولا ينبغي للمودع أو المستعير أن يسخط على المالك إذا استرد يوماً من الدهر وديعته أو عاريته .

وقديماً قال لبيد :

وما المال والأهلون إلا ودائعُ ولابدّ يوماً أنّ تُردّ الودائعُ

ومن ثم علم القرآن الصابرين الذين كتب لهم البشرى والصلوات والهداية والرحمة أن يقولوا إذا أصابتهم مصيبة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة] .

يقول ابن القيم : وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب ، وأنفعه له في عاجلته وآجلته ، فإنها تتضمن أصلين عظيمين ، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته .

أحدهما : أن العبد وأهله ، وماله ملك لله ﷻ ، وقد جعل عند العبد عارية ، وأيضاً فإنه محفوف بعدمين عدم قبله ، وعدم بعده ، حتى يكون ملكه حقيقة ، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ، ولا يبقى عليه وجوده ، فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي .

والثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ، ولابد أن

يخلف الدنيا وراء ظهره ، ويجئ ربه فرداً ، كما خلقه أول مرّة ، بلا أهل ولامال ولا عشيرة ، ولكن بالحسنات والسيئات ، فإذا كانت هذه بدايته ونهايته ، فكيف يفرح بموجود ، ويأسى على مفقود ؟!

ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء .

٣ــ اليقين بحسن الجزاء عند الله تعالى :

فإن مما يحث الإنسان على عمل ما ، ويثبته عليه ، ويزيده رغبة فيه ، وحرصاً عليه ، أن يطمئن إلى أنه مجزي عليه جزاء مرضـــياً ومـــن هنـــا وضعت الدول والمؤسسات المكافآت التشجيعية ، والجـــوائز التقديريـــة للمحسنين والمتفوقين .

والقرآن يشير إلى أن الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء من الله تعالى ، وذلك حين يرجعون إليه ، ويقفون بين يديه ، فيعوضهم عـــن صـــبرهم أكرم العوض ، ويمنحهم أعظم الأجر ، وأجزل المثوبة حـــتى ورد « أن أهل العافية يتمنون يوم القيامة لو أن أجسامهم كانت تقرض بالمقـــاريض في الدنيا ، لما يرون من عظم ثواب الله أهل البلاء » .

وقد جاء عن عمر قوله : «ما أصبت ببلاء إلا كان لله علي فيه أربع نعم :

أنه لم يكن في ديني ، وأنه لم يكن أكبر منه ...وأني لم أحرم الرضـــا به ، وأني أرجو ثواب الله عليه .

فكان رجاء ثواب الله على البلاء ـــ في نظـــر عمـــر ﷺ ـــ أحـــد الأسباب الملطفة له ، إلى حد نقله من دائرة المصائب التي يصبر عليها إلى دائرة النعم التي يشكر عليها .

فيقين الإنسان بحسن الجزاء ، وعظم الأجر عند الله على البلية يخفف مرارتها على النفس ،ويهون من شدة وقعها على القلب ، وكلما قـــوى اليقين ضعف الإحساس بألم المصيبة ، حتى تنتقل لدى النفس من المكاره إلى المحاب .

٤ـــ اليقين بالفرج :

ومما يعين الإنسان على الصبر : اليقين بأن نـــصر الله قريـــب ، وأن فرجه آت لا ريب فيه ،وأن بعد الضيق سعة ، وأن بعد العسر يسراً ،وأن ما وعد الله به المؤمنين من النصر ،وما وعد به المبـــتلين مـــن العـــوض والإخلاف لابد أن يتحقق .

هذا اليقين جدير بأن يبدد ظلمة القلق من النفس ، ويطرد شبح اليأس من القلب ، وأن يضئ الصدر بالأمل في الظفر ، والثقـــة بالغـــد وهـــذا كسب نفسي كبير ، إن الذي أعان يعقوب عليه السلام على الصبر ، أملـــه في الله، وثقته بالمستقبل ، وإن الله لن يضيع صبره وعمله ، ولهذا قال بعـــد أخذ ولده الثاني واحتجازه في مصر ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي

بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ [يوسف : ٨٣] .

ولا عجب أن تكرر في القرآن الأمر بالصبر مقروناً بـــأن وعـــد الله حق، أي : لا يتخلف أبداً قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم] وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح] .

٥ـــ الاستعانة بالله تعالى :

ومما يعين المبتلى على الصبر أن يستعين بالله تعالى ، ويلجأ إلى حماه ، فيشعر بمعيته سبحانه ،وأنه في حمايته ورعايته ، ومن كان في حمى ربه فلن يضام .

وفى هذا يقول تعالى في خطاب المـــؤمنين : ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال] .

وفي خطاب رسوله : ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[الطور : ٤٨] .

ومن كان بمعية الله مصحوباً ،وكان بعين الله ملحوظاً ، فهو أهل لأن يتحمل المتاعب ويصبر على المكاره .

وإذا العناية لاحظتـــك عيـــونها　　　نم ، فالمخاوف كلهن أمـــانُ

واصْطَدْ بها العنقاء ، فهي حبائل　　　واقتد بها الجوزاء ، فهي عنانُ

٦ـ الاقتداء بأهل الصبر والعزائم :

ومما يعين على الصبر : التأمل في سير الصابرين ، وما لاقوة من صنوف البلاء ، وألوان الشدائد ، وبخاصة أصحاب الدعوات ، وحملة الرسالات ، ومن أنبياء الله ورسله ، المصطفين الأخيار ، الذين جعل الله من حياقم وجهادهم دروساً بليغة لمن بعدهم ، ليتخذوا منها أسوة ، ويتعزوا بها عما يصيبهم من متاعب الحياة وأذى الناس .

ومن هنا حرص القرآن ــ المكي خاصة ــ على ذكر قصص الأنبياء بل تكرار الكثير منها في العديد من سوره ، تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين معه وتثبيتاً لقلبه في مواجهة أعداء دعوته ، وما أكثرهم وأعتاهم .

قال تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ﴾ [الأنعام : ٣٤] .

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام] .

٧ـ الإيمان بقدر الله وسننه :

ومما يعين المرء على الصبر إيمانه بأن قدر الله نافذ لا محالة ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام ، وطويت الصحف .

إن الارتكان على الأقدار في مثل هذا المقام أمر مشروع ومحمـــود ، لأنه إحالة على القدر فيما لابد للإنسان فيه ولا اختيار، مـــن نوائـــب الدهر، ونكبات والأيام ، وهذا له أثره في نفس الإنسان حيـــث يخفـــف عنها لوعة الأسى على ما فاتها ، والحزن على ما أصابها .

قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٢، ٢٣] .

وإذا كان مقادير الله نافذة، رضي الإنسان أم سخط ، صبر أم جزع، فإن العاقل ينبغي أن يصبر ويرضى، حتى لا يحرم المثوبة ، وإلا فإنه سينتهي رغماً عنه إلى صبر الإضطرار، الذي ليس له قيمة خلقية ولا دينية.

وإن التسليم بالواقع هو مقتضى العقل والدين معاً ، وإلا فليفعل مـــا يشاء من إظهار الكآبة والهلع ، والمبالغة في التوجع والتشكي ، فهل يغير هذا من الواقع شيئاً ؟ وهل يبدل سنن الله في الكون ؟

بالقطع لا ، وإنما يزيد النفس كمداً وغماً .

ولهذا قيل : الصبر حيلة من لا حيلة له، لأن الأمر إذا كان بيد غيرك، لم يكن لك إلا الصبر عليه ، ولأن الشيء إذا كان لا يأتيـــك إلا قلـــيلاً

قليلاً، وأنت محتاج إليه ، لم يكن لك إلا الصبر عليه ، وإلا انقطع ذلك القليل .

٨ ـــ الحذر من الآفات العائقة عن الصبر :

ومن هذه الآفات :

أ ـــ الاستعجال :

فالنفس مولعة بحب العاجل ، والإنسان عجول بطبعه حتى جعل القرآن العجل كأنه المادة التي خلق الإنسان منها : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنعام : ٣٧] فإذا أبطأ على الإنسان ما يريده نفد صبره ، وضاق صدره ، ناسياً أن لله في خلقه سنناً لا تتبدل ، وأن لكل شيء أجلاً مسمى .

ب ـــ الغضب :

فقد يستفز الغضب صاحب الدعوة ،إذا ما رأى إعراض المدعوين عنه ، ونفورهم من دعوته ، فيدفعه الغضب إلى ما لا يليق به من اليأس منهم ، أو النأى عنهم مع أن الواجب على الداعية أن يصبر على من يدعوهم .

وفي هذا يقول الله لرسوله : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [القلم] .

جـ ـ شدة الحزن والضيق مما يمكرون :

فليس أشد على نفس المرء المخلص لدعوته من الإعراض عنه ، والاستعصاء عليه ، فضلاً عن المكر به ، والإيذاء له وفي هذا يقول الله لرسوله : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [النحل] .

د ـ اليأس .

فهو من أعظم عوائق الصبر ، فإن اليأس لا صبر له ، ولهذا حرص القرآن على أن يدفع الوهم عن أنفس المؤمنين فبذر الأمل في صدورهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران].

وما ذلك إلا لأن الأمل أكبر معوان على الصبر على طول الطريق ، ومشقاته وأن اليأس من أعظم المعوقات عن الصبر .

أثر الصبر في حياة المسلم

إذا استحكمت الأزمات ، وتعقدت حبالها ، وترادفت الضوائق وطال ليلها فالصبر وحده هو الذي يعصم من التخبط ، ويجعل المسلم يسير متزناً وفق منهج الإسلام في كل شؤون الحياة ؛ فلا بد أن يوطن المسلم نفسه على احتمال المكاره دون ضجر ، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت .

وقد أكد الله أن ابتلاء الناس لا محيص عنه ، حتى يأخذوا أهبتهم للنوازل المتوقعة فلا تذهلهم الفواجع والمفاجآت : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد] .

والصبر في هذا الشأن له جانبان :

الأول : يتعلق بطبيعة الحياة الدنيا .

والثاني : يتعلق بطبيعة الإيمان .

فأما الأول : فإن الله لم يجعل الدنيا دار جزاء وقرار ، بل جعلها دار تمحيص وامتحان ، فالفترة التي يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات ، فهو يخرج من امتحان ليدخل في ابتلاء آخر ، قد يغاير الأول مغايرة تامة ، وهكذا يجد الإنسان نفسه محتاجاً إلى الصبر في كل شأن من شؤون حياته .

وأما الثاني : فإن الإيمان هو العامل الأساسي لتوثيق الصلة بين الإنسان وبين ربه ﷻ ، وإذا كانت صلات الصداقة بين الناس لا يعتد بها وينوه بشأنها إلا إذا أكدها مر الأيام وتقلب الليالي واختلاف الحوادث فكذلك الإيمان ، لابد أن تخضع صلته للابتلاء الذي يمحصها ، فإما كشف عن طيبها وإما كشف عن زيفها ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت] .

على هذين الجانبين يقوم الصبر ، بيد أن الإنسان ـ ومن عادته تجاهل الحقائق ـ يدهش للصعاب إذا لاقته ، ويتبرم بالآلام إذا مسته ، فإذا حزبه أمر أو صدمته خيبة أو نزلت به كارثة ، ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وحاول أن يخرج من حالته بأسرع من لمح البصر ، وهي محاولة قلّما تنجح لأنها ضد طبيعة الدين والدنيا .

وأولى بالمسلم أن يدرب نفسه على طول الانتظار والتروي : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧ ﴾ [الأنبياء] .

وفي الحديث : « ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر » متفق عليه .

الصبر في واحة الشعر [*]

اصبر لك مصيبة وتجلد

اصــبر لــك مــصيبة وتجلّــد واعلم بأن المرء غــير مخلّــد

أومــاترى أن المــصائب جمّــة وترى المنية للعبــاد بمرصــد

من لم يُصَبْ ممن ترى بمـصيبة هذا سبيل لست عنه بأوحــد

فإذا ذكرت مصيبة تسلو بهــا فاذكر مصابك بالنبي محمّــد

الصبر أفضل شيء

صبراً جميلاً على ما ناب من حدث والصبر ينفع أحياناً إذا صبروا

الصبر أفضل شــيء تــستعين بــه على الزمان إذا مامسّك الضرر

عاقبة الصبر

إني رأيت وفي الأيــام تجــربة للصبر عاقبــة محمــودة الأثــر

وقلّ من جَــدَّ في شيء يحــاوله فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

---

[*] (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء /١٦١ ــ ١٦٣) لأبي حاتم البستي ، دار الباز ، مكة . (تسلية أهل المصائب / ٢٠) للمنبجي الحنبلي ، دار الكتبي . (الآداب الــشرعية / ٣ / ٤٤٤) لابن مفلح ، مؤسسة الرسالة .

تعزّ بحسن الصبر

تعزّ بحسن الصبر عن كل هـــالك　　ففي الصبر مسلاةُ الهموم اللوازم
إذا أنت لم تسلُ اصطباراً وخشية　　سلوت على الأيام مثل البهائم
وليس يذود النفس عن شهواتها　　من الناس إلا كلُّ ماض العزائم

الصبر مفتاح العسر

فما شـــدة يوماً وإن جَلّ خطبُــها　　بنازلـــة إلا سيتبعـــها يســـــرُ
وإن عسرت يوماً على المرء حاجة　　وضاقت عليه كان مفتاحها الصبر

إدفع بصبرك حادث الأيام

إدفع بصبرك حـــادث الايـــم　　وبرج سس ،واحـــد العلاّم
لا تيأسنّ وإن تضـــايق كربُها　　ورماك رَيْبُ صروفها بسهام
فـــله تعـــالى بين ذلك فرجـــة　　تخفى على الأبصار والأفـــهام
كم من نجا مِنْ بين أطراف القَنَا　　وفريسةٍ سَلِمَتْ من الضرْغام

هوّن عليك

هوّن عليك فكلُّ الأمر منقطع　　وخلّ عنك عنان الهمّ يندفعُ
فكلُّ همٍّ لـــه من بعده فـــرجُ　　وكلُّ أمر إذا ما ضاق يتّسع

إن البلاء وإن طال الزمان به فالموت يقطعُهُ أوسوف ينقطع

ألا يا أيها المرء

ألا يـا أيها المـرء الـ ـذى الهـمُّ به بـرَّحْ

إذا ضـاق بك الصّـدْرُ تفـكّرْ في﴿ألم نشرح﴾

الترغيب في العفو والصفح وبيان فضله والأسباب التي تعين على العفو والصفح وبيان هل يستحب العفو والصفح في كل الأحوال ؟



تمهيد

فإن خلق العفو والصفح من أعظم مكارم الأخلاق ، ومن أنبل الشيم على الإطلاق .

ولقد رغبنا الشرع الحنيف في هذا الخلق العظيم ، وأمرنا جل وعــلا به ، وحثنا عليه الحبيب ﷺ .

وليس العفو والصفح مقتصراً على جانب الأذى الحسي فقط ، بــل والمعنوي كذلك فمن آذاك بيده كمن سبك بلسانه كمن تكلم فيك بمــا ليس فيك ، أو اغتابك أو انتقص شأنك ، أو همزك ، أو غمزك أو لمــزك أو احتال في أذيتك بأي طريق كان .

وليس العفو مجرد ترك المؤاخذة والإعفاء عن الجاني فقط بل العفــو والصفح يمتد ليشمل حتى عدم الحَمل على الظالم في النفس ،ويمثل هــذا الأمر تبسمك الندى الصادق تجاه من اعتدى عليك ، فتهش وتبش لــه ومن هنا كان العفو والصفح ، نقاء سريرة ، وصفاء نفس ، بل وعطــاء لمن أساء ، وطهارة حسّ ، وطيب قلب وتبسم وسرور بفضل الله الــذي منّ به على من عفا وصفح .

إننا نريد من كل مسلم أن يتعلم هذه الأخــلاق وتلــك الــسجايا العظيمة، ويتقلّد تلك الأخلاق النبيلة ، فيكون صاحب السماحة الفياضة،

والصدر الرحيب الفسيح ، والرفق واللين والعفو والصفح ،لا أن يكون غليظ القلب ، جاف الطباع ، فظّ اللسان ، خشناً عند اللقاء ثقيلاً مع الجلساء، لا يَأْلف ولا يُؤْلَف ، إنه من كان كذلك لفظهُ القريب والبعيد ، وتجنبه العدو والحبيب .

وللأسف الشديد هناك من يسمون بالدعاة قد اتصفوا بهذه الصفات لذلك «تجدهم يندفعون مع أدنى خطأ أو أقل عثرة ، وإذا هم يدعون بالويل والثبور ، وعظائم الأمور .

وكثيراً ما يواجهون الناس بالأحكام الدامغة الخطيرة من الفسق أو الابتداع أو التساهل ونحو ذلك .

وهؤلاء كثيراً ما يستزلهم الشيطان بهذه الحمية الزائفة التي لا تأتي في موضعها الصحيح ،الشيطان ينفخ في حميتهم بأن الحق أحق أن يتبع ، ويثير التساؤل أين الغيرة الإيمانية ، والحمية الإسلامية ؟!

ليغطى على الأناة التي تنظر في عواقب الأمور ، والحلم الذي يضبط النفوس ، والرحمة والعفو والصفح الذي يستميل القلوب . وبعض هؤلاء ـــ وللأسف ـــ يندفعون أحياناً خوفاً من أن يُتّهموا بعدم الغيرة أو خشية أن يوصموا بالتميع والتساهل .

ولا يفهم من قولي أن كل فاعل لذلك مذموم ، ولا أن كل موقف يقتضى الحلم واللين والعفو والصفح ، ولكنى أنوه إلى صور في الواقع

ناشئة من أفهام قاصرة وممارسات خاطئة .[1] .

فخير الهدى رسول الله ﷺ ، فلقد كان وسطاً في كل شيء ، يعفو ويصفح ، ولكنه مع ذلك يشتد إذا لزم الأمر ولكن كل ذلك يكون لله ، فالعفو والصفح لله ، والشدة والأخذ لله .

---

[1] (مقومات الداعية الناجح /١٢٣) د/علي عمر بادحدح باختصار وتصرف يسير ، دار الأندلس الخضراء ، ط٤ ، ١٤٢٢هـ .

تعريف العفو والصفح

العفو لغة :

قال تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ أي خذ الميسور من أخلاق الرجال ولا تستقص عليهم .

و«عفا» عن ذنبه أي تركه و لم يعاقبه .

و«العَفُوُّ» على فعول الكثير العفو [١] .

وعفو الله ﷻ عن خلقه والصفح ، ترك عقوبة المستحق ممن يكلفك أن يعفيك منه و«أعفى» أنفق العفو من ماله ، و«المعافاه» أن يعافيك الله من الناس ، ويعافيهم منك . [٢]

الصفح لغة :

صفح عنه صفحاً : أعرض «صَفحَتْ» جبهته صفحاً : انبسطت انبساطاً مفرطاً ، «استصفح» فلاناً : طلب منه الصفح . [٣]

و«الصفح» عنه ، أعرض عن ذنبه [٤] .

---

[١] (مختار الصحاح /٢٦٤) مادة : عفا .

[٢] (القاموس المحيط/١٣١٣) مادة العفو .

[٣] (المعجم الوسيط /٥١٥) مادة : صفح .

[٤] (مختار الصحاح /٢١٩) مادة : صفح .

العفو والصفح اصطلاحاً :

ترك مؤاخذة من أساء والعفو عنه والصفح ابتغاء وجه الله تعالى قال سبحانه ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ وكظم الغيظ ،والمسامحة والصفح الجميل دون أن يَتْبع ذلك منٌّ ولا أذى .

الترغيب في العفو والصفح من كتاب الله تعالى

١ــ قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[الأعراف:١٩٩].

قال العلامة السعدي رحمه الله :

هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس ، وما ينبغي في معاملتهم ، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس أن يأخذ العفو أي : ما سمحت به أنفسهم وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم ، بل يشكر من كل أحد ما قابله به من قول وفعل جميل ، أو ماهو دون ذلك .

ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم ، ولا يتكبر على الصغير لصغره ولا ناقص العقل لنقصه ، ولا الفقير لفقره ، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقضيه الحال وتنشرح له صدورهم .

﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ .

ولما كان لابد من أذية الجاهل ، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله .

فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه ، ومن حرمك لا تحرمه ،ومن قطعك فصله ، ومن ظلمك فاعدل فيه . اهـ



٢ــ وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾[النور: ٢٢] .

هذه الآية نزلت في الصديق ﷺ حين حلف أن لا ينفع مسطح بــن أثاثة بنافعة أبداً بعد ما قذف عائشة رضي الله عنها ، وخاض مع عــصبة الإفك ، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين وزوج سيد المرســلين ،وطابــت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من تكلم من المؤمنين في ذلك ، وأقيم الحد على من أقيم عليه ، شرع تبارك وتعالى وله الفــضل والمنّــة بعطف الصّديق على قريبة ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة ، فإنه كان ابــن خالة الصديق ، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر ﷺ .

وكان من المهاجرين في سبيل الله ، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب الحد عليها ، وكان الصديق ﷺ معروفاً بالمعروف ، له الفــضل والأيادي على الأقارب والأجانب .

فلما نزلت هذه الآية قال الصديق : بلى والله إنا نحب أن تغفر لنــاياربنا ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

ولهذا كان الصديق هو الصديق ﷺ وعن ابنته .

وهذه الآية تدل على حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهــم لأنفسهم ، وتقرر أن الجزاء من جنس العمل ، فكما تغفر ذنب من أذنب

إليك يغفر الله لك ،وكما تَصْفَح عنك ، وكما تعفو يعفو عنك ، فإذا عوّدت الناس على خير ، فلا تقطعه عنهم حتى لا يقطع الله ما عوَّدك عليه من كرمه ولطفه ورحمته [(١)] .

٣ـ وقال تعالى : ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران] .

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله :

كذلك تعمل التقوى في هذا الحقل، بنفس البواعث ونفس المؤثرات، فالغيظ انفعال بشرى تصاحبه أو تلاحقه فورة في الدم ، فهو إحدى دفعات التكوين البشرى وإحدى ضروراته ، وما يغلبه الإنسان إلا بتلك الشفافية اللطيفة المنبعثة من إشراق التقوى ..

وكظم الغيظ هو المرحلة الأولى ، وهى وحدها لا تكفى ، فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضطغن ، فيتحول الغيظ الفائر إلى إحنة غائرة ، ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين .. وإن الغيظ والغضب لأنظف وأطهر من الحقد والضغن .. لذلك يستمر النص ليقرر النهاية

---

(١) (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين /٦٩٤/١) سليم بن عبدالهلالي ، دار ابن الجوزى ، الدمام .

الطليقة لذلك الغيظ الكظيم في نفوس المتقين .. إنها العفـــو والـــسماحة والانطلاق .. إن الغيظ وقر على النفس حين تكظمه ،وشـــواظ يلفـــح القلب ، ودخان يغشى الضمير ..فأما حين تصفح النفس، ويعفو القلب ، فهو الإنطلاق من ذلك الوقر ، والرفرفة في آفاق النور ، والبرد في القلب، والسلام في الضمير .

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

والذين يجودون بالمال في السراء والضراء محسنون ، والذين يجودون بالعفو والسماحة بعد الغيظ والكظم محسنون..والله يحب المحسنين.اهـــ[1]

٤ـــ وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن] .

قال السعدي رحمه الله :

لأن الجزاء من جنس العمل ، فمن عفا عفا الله عنه ،ومـــن صـــفح صفح الله عنه ومن غفر غفر الله له ، ومن عامل الله فيما يحب ،وعامـــل عباده كما يحبون وينفعهم،نال محبة الله ومحبة عباده،واستوثق له أمره.اهـــ

---

[1] (في ظلال القرآن /١/٤٧٥) دار الشروق ، بيروت .

٥ـــ وقال سبحانه : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى] .

قال الجزائري حفظه الله :

وقوله تعالى : ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾

هذا هو الحكم الشرعي جزاء المسيء العقوبة بما أوجب الله تعالى له في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، فمن عفا عمن أساء إليه ، وأصلح ما بينه وبينه فعادت المودة وعاد الإخاء ، فأجره على الله وهو خير له وأبقى من شفاء صدره بعقوبة أخيه الذى أساء إليه .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ تعليل لعظم الأجر لمن عفا، أي كونه تعالى لا يحب الظالمين ضاعف الأجر وأجزل المثوبة للمظلوم إذا عفا وأصلح . اهـــ

الترغيب في العفو والصفح
من السنّة المطهّرة

أ ـــ العفو عزّ :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما نقصت صـــدقة من مال ، ولا زاد الله عبداً بعفو إلا عزّا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعـــه الله » [١] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

للعبد أحد عشر مشهداً فيما يصيبه من أذى الخلق وجنايتهم عليه ، ثم ذكر منها المشهد الثالث : مشهد العفو والصفح والحلم ، فإنـــه مـــتى شهد فضله وحلاوته وعزّته لم يعدل عنه إلا بعشى في بصيرته .

فإنه «مازاد الله عبداً بعفو إلا عزّا » كما صح عن النبي ﷺ وعلـــم بالتجربة والوجود ،وما انتقم أحد لنفسه إلا ذلّ .

هذا وفي الصفح، والعفو والحلم من الحلاوة والطمأنينة ،والـــسكينة، وشرف النفس ، وعزّها ، ورفعتها عن تشفيها بالانتقام ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام ..

---

[١] مسلم : كتاب البرو والصلة ، باب : استحباب العفو والتواضع رقم (٦٥٣٥) (نووى /١٦ /٣٥٨) .

ويهونه عليك علمك بأن الجزاء من جنس العمل ، فإن كان هــذا عملك في إساءة المخلوق إليك ، عفوت عنه ، وأحسنت إليه مع حاجتك وضعفك وفقرك وذّلك .

فهكذا يفعل المحسن القادر العزيز الغنى بك في إساءتك ، يقابلها بما قابلت به إساءة عبده إليك ، فهذا لابد منه ، وشاهده في السنة من وجوه كثيرة لمن تأمّلها [١] .اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

وكما أنه من توهم أنه بالعفو يسقط حقه أو ينقص غالط جاهل ضال ، بل بالعفو يكون أجره أعظم ، فكذلك من توهم أنه بالعفو يحصل له ذلّ ، ويحصل للظالم عز واستطالة عليه فهو غالط في ذلك كما ثبت في الصحيح وذكر هذا الحديث ـــ فبين الصادق المصدوق أن الله لا يزيد العبد بالعفو إلا عزاً . [٢] اهـ

ب ـــ **واغْفِروا يُغْفَر لكم :**

عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ وهـو

---

[١] (مدارج السالكين /٣/٩٤ـــ ٩٦) باختصار ، لابن القيم ، تحقيق : عبدالعزيز ناصر الجُليِّل، دار طيبة ، الرياض .

[٢] (مجموع الفتاوى /٣٠/٣٦٨) .

على المنبر : « ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر لكم ...» [١] وهذا المعنى قد سبق وتكرر كما في الآيات السابقات .

فعلى العبد المسلم أن يتذكر هذا الحديث دائماً ،ويجعله على القائمة الأخلاقية التي يجب عليه ان يتصف بمعناه على الدوام .

فالمرء ضعيف وإذا نسى عاقبة العفو عند الله تعالى لن يجد ما يردعـــه عن ظلم الآخرين أو حتى معاملتهم بالمثل ، أما إن ردَّد هذا المعنى في قلبه تكراراً ومراراً وهو أن من عفا عفا الله عنه ، ومن صفح صفح الله عنه ، ومن غفر غفر الله له حمله ذلك على العفو عن الآخرين وعمن أساء إليه .

فكم هي كثيرة ذنوبنا ؟ ! وكم هي قبيحة جرائمنا ؟!

فالذنوب بعدد الأنفاس ، والكبائر من كثرها لا تحصى ، الغفلة مريرة ومحكمة ، وقسوة القلوب تبدو في محاجرنا ، وأمراض النفوس تطفح بهـــا جوارحنا ، ثم مع ذلك نتجرأ على عباد الله ، وليس عند الكثير اســتعداد أن يتنازل عن حقه ــــ إن هضم أو ظلم ــــ قيد أنملة .

نرى الذرة في عيون الإخوان ، ونترك في أعيننا الجذع .

ثم بعد ذلك نرجو العفو والصفح من الله ؟! أي منطق هذا ؟ !

---

[١] صحيح : رواه البخاري في الأدب المفرد ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٨٢) .

وأي قلوب تلك ؟!

فاعلم أخي أن الله أكرم منك بل لا وجه هناك لضرب الأمثلة ، فيقيناً — بإذن الله تعالى — أن من عفا عفا الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن صفح صفح الله عنه .

جـ — وكظم الغيظ عفو :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس الشديد بالصُّرَعَة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[1] بين الرسول ﷺ في الحديث أن الشديد ليس الذي يصرع الناس ولا يصرعونه ، ويطرحهم على الأرض ولا يطرحونه ،وإنما الشديد حقاً الذي يملك نفسه عند ثوران الغضب ، فيقهرها بحلمه ، ويصرعها بثباته وعفوه ، ولايمكنها أن تسترسل مع تيار الغضب ، فتشتم وتسب ، وتضرب وتقتل ، وتخرج عن سنن الاعتدال في أقوالها وأفعالها تلبية لداعي الانتقام ممن أثار حفيظتها.

وإنما كان الشديد بحق من ملك نفسه عند الغضب لأن النفس الأمّارة بالسوء شر خصوم للإنسان ، وأعدي أعدائه لأنها تدفع به إلى المعاطب فإذا ملك زمامها و لم تملكه قهر أقوى خصومه ، فكان أشد بأساً من الصرعة .

---

(١) البخاري : كتاب الأدب ، باب : الحذر من الغضب ، رقم (٦١١٤) (فتح /١٠/ ٦٣٥) .

وضبط النفس هو الفضيلة التي علا بها العظماء ، ومكن بها لمجدهم القادة والزعماء وهى أس الإحسان في الفكرة ، ووزن الأقوال بميزان الحكمة ، وصدور الأعمال وفق المصلحة ، وهى تجعل صاحبها الثبت الرزين [١] ، والقرم [٢] الرصين [٣] ذا النفس المطمئنة ، والأخلاق الهادئة ، وإنها لتحمى الإنسان من الطيش والنزف والهلع [٤]والفرق ، وتدعوا إلى احترامه وإجلاله ،وتوقيره وإكباره فاملك زمام نفسك عند الغضب تكن أشجع الناس [٥] .

---

(١) الرزين : الحليم الوقور .

(٢) القرْم من الرجال : السديد المعظم والمكرم .

(٣) الرصين : رَصُن رصانة : ثبت واستحكم .

(٤) الهلع : الجزع الشديد .

(٥) (الأدب النبوي / ١٥١ ، ١٥٢) محمد عبدالعزيز الخولي ، دار المعرفة ، بيروت ط! ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

توطين النفس على لزوم العفو والصفح

الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة ، وترك الخروج لمجازاة الإساءة ، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان ، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها .

فمن أراد الثواب الجزيل ، واسْتِرْهَان الود الأصيل ، وتوقع الذكر الجميل فليحتمل من ورود ثقل الردى ، ويتجرع مرارة مخالفة الهوى ، عند الجهل ، والعفو وعند الظلم ، لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا .

فعلى العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالم بأسرهم، رجاء عفو الله جل وعلا من جناياته التي ارتكبها في سالف أيامه ، لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء ، وصاحب العقاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب ، فأما من له أخ يَوَدُّه فإنه يحتمل عنه الدهر كله زلاته .

فأغنى الناس عن الحقد مَنْ عظم عن المجازاة ، وأجلُّ الناس مرتبة من صَدَّ الجهل بالحلم ، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء إليه ، فأما مجازاة الإحسان إحساناً فهو المساواة في الأخلاق ، فلربما استعملها البهائم

في الأوقات .

ولو لم يكن في الصفح وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة النفس وودا ع القلب لكان الواجب على العاقل أن لا يكدِّر وقته بالدخول في أخلاق البهائم بالمجازاة على الإساءة إساءة ، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسيء وإن لم يكن بادئاً . [1]

---

(1) (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / ١٦٦ ــ ١٧١) باختصار .

العفو والصفح من شيم رسول الله ﷺ

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾.

قال في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً . [1]

وعن أبي عبدالله الجدلي قال : سألت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح [2] .

---

[1] البخاري : كتاب التفسير ، باب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ رقم (٤٨٣٨) (فتح /٢/٢١١٩) طبعة بيت الأفكار الدولية .

[2] صحيح : الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب : ما جاء في خلق النبي ﷺ رقم (٢٠١٦) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح طبعه بيت الأفكار الدولية .

وحياته ﷺ زاخرة بالأمثلة التي تدل على رسوخه في خلق العفو والصفح .

فلقد حاولت الأيدي الآثمة النيل من رسول الله ﷺ وباءت محاولات اغتيالهم له ﷺ بالفشل كلها ومع ذلك كان ﷺ يعفو ويصفح عمن تمكن منه غير مرة .

وصور عفوه ﷺ عمن أساء إليه مشهورة معروفة ، فهل يكون لنا فيه أسوة كما أمرنا بذلك ربنا تبارك وتعالى .

قصة في العفو والصفح
لا مثيل لها

ومن قصص العفو التي لامثيل لها بين الناس ، عفو رسول الله ﷺ عن زعيم المنافقين عبدالله بن أبي .

فإن عبدالله بن أبيّ هذا كان عدواً لدوداً للمسلمين يتربص بهم الدوائر ويحالف عليهم الشيطان ، ويحيك لهم المؤامرات ،ولا يجد فرصة للطعن عليهم والنيل من نبيهم إلا انتهزها .

وهو الذي أشاع قالة السوء على أم المؤمنين عائشة ، وجعل المرجفين يتهامسون بالإفك حولها ، ويهزون أركان المجتمع الإسلامي هزاً بهذا الاتهام الدنئ ، وتقاليد الشرق من قديم تجعل عرض المرأة في الذروة من القداسة ، وتربط به كرامتها وكرامة أهلها الأبعدين والأقربين .

ولذلك كان حَزّ الألم قاسياً في نفس الرسول وأصحابه ، وكانت الغضاضة من هذا التلفيق الجريء تملأ نفوسهم كآبة وغماً ، حتى نزلت الآيات آخر الأمر تكشف مكر المنافقين ، وتفضح ما اجترحوا ،وتنوه بطهر أم المؤمنين ونقاء صفحتها .

ولقد أقيم الحد على الصحابة الذين زلت أقدامهم وطهروا بذلك أما جرثومة الشر وهو زعيم المنافقين فلم يُحدّ لأن الحدّ لن يطهّره بل وتوعده

الله بعذاب عظيم .

ومضت الأيام ومات المنافق ، بعد ما ملأت رائحة نفاقه كل فــج ، وجاء ولده إلى رسول الله ﷺ يطلب منه الصفح عن أبيه فصفح ، ثم طلب منه أن يكفن في قميصه فمنحه إياه ، ثم طلب منه أن يصلى عليه ويستغفر له ، فلم يرد له الرسول الرقيق العفوّ هذا السؤال ، بل وقف أمام جثمان الطاعن في عرضه بالأمس يستدر له المغفرة .

لكن العدالة العليا حسمت الأمر كلــه فنـــزل قولــه تعــالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[التوبة] [1] .

---

[1] (خلق المسلم /١٢١، ١٢٢) محمد الغزالي ، دار القلم ، دمشق بتصرف واختصار .

وعلى الطريق سار الصِّدِّيق

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور] .

يقول تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ﴾ من الألية وهي الحلف ، أي لا يحلف ﴿ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ أي الطَّوْل والصدقة والإحسان ﴿ وَٱلسَّعَةِ﴾ أي : الجدة ﴿ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ أي : لا تحلفوا أن لا تصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين .

وهذا في غاية الترفق والعطف على صلة الأرحام ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ﴾ أي : عما تقدم منهم من الإساءة والأذى .

وهذا من حلمه تعالى ، وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم ، هذه الآية نزلت في الصديق ﷺ حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت ، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك ، وأقيم الحد على من أقيم عليه ، شرع تبارك وتعالى وله

الفضل والمنة ، يعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة فإنه كان ابن خالة الصديق ، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر ﷺ ، وكان من المهاجرين في سبيل الله ، وقد ولق ولقة تاب الله عليه منها ، وضرب الحد عليها .

وكان الصديق ﷺ معروفاً بالمعروف ، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب ، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ ﴾ الآية ، فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك وكما تصفح نصفح عنك ، فعند ذلك قال الصديق : بلى والله إنا نحب ــ يا ربنا ــ أن تغفر لنا ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ما كان ، قال : والله لا أنفعه بنافعة أبداً . فلهذا كان الصديق هو الصديق ﷺ وعن بنته [1] .

---

[1] (تفسير ابن كثير /٤/٣٨) مكتبة الرشد ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .



مع عمر الوقّاف عند كتاب الله تعالى

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنـــزل على ابن أخيه الحُرِّ بن قيس بن حصن ، وكان من النفر الذين يُدنيهم عمر ، وكان القرّاء أصحاب مجلس عمر ومـــشورته ، كهولاً أو شباناً ، فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ، هل لك وجه عند هذا الأمير ، فتستأذن لي عليه ؟ قال : سأستأذن لك عليه .

قال ابن عباس : فاستأذن الحر لعيينة ، فلما دخل قال : هِيْ يا ابـــن الخطاب ، والله ما تعطينا الجزل ، وما تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمـــر حتى همّ بأن يوقع به .

فقال الحرُّ : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قال لنبيّه ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعـــراف] وإن هـــذا مـــن الجاهلين ، فو الله ما جاوزها عمر ﷺ حين قرأها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى [١] .

---

[١] البخاري : كتاب التفسير ، بـــاب : ﴿ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ رقـــم (٤٦٤٢) (فتح /٢/١٩٩٧) طبعة بيت الأفكار الدولية .

وهذا هو والله العفو عند المقدرة لا لشيء سوى ابتغاء مرضـاة الله تعالى .

ولقد كان يستطيع عمر ﷺ أنه يوقع بهذا الذي تطاول عليه ويجلده ويفعل به ويفعل ، ولكنه الوقاف عند آيات الله تعالى ، فما إن سمع هذه الآية تقرع سمعه إلا كان حاله سمعنا وأطعنا .

فعلى كل صاحب قدرة أن يتجمل بالعفو والصفح عمن أساء إليه ، ويتأسى برسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم ،وأن يتذكر قدرة الله تعالى عليه .

فمن عفا عفا الله عنه ، ومن غفر غفر الله له .

أين نحن من أخلاق السلف في العفو والصفح ؟!*

* عن أبي سلمة : أن جبير بن مطعم تزوج امرأة، فسمى لها صداقاً ، ثم طلقها قبل الدخول ، فتلا هذه الآيــة : ﴿ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ ﴾ فقال : أنا أحق بــالعفو ، فــسلّم إليهــا الصداق كاملاً .

* عن عمر بن إسحاق قال : دخلنا على الحسن بن علي نعوده فقال لصاحبي : يافلان سلنى ، ثم قام من عندنا فدخل كنيفاً ثم خرج فقــال : إني والله قد لفظت طائفة من كبدي قلبتها بعود ، وإني قد سقيت الــسم مراراً فلم أسق مثل هذا .

فلما كان الغد أتيته، فجاء الحسين فقال : أي أخي أنبئني من سقاك؟ قال : لِمَ لتقتله ؟ قال : نعم .

(*) (سير أعلام النبلاء) للذهبي ، مؤسسة الرسالة . وعنه نقــل في (منجــد الخطيــب /٢ /١٦ــ٢٣) باختصار ، أحمد صقر السويدي ، دار ابن حزم بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هــ ــ ٢٠٠٠م (روضة العقلاء /١٦٦ــ ١٧١) .

قال : ما أنا بمحدثكم شيئاً إن يكن صاحبي الذي أظن ، فـالله أشـد انتقاماً، وإلا فوالله لا يُقتل أبي برئ .

* قيل : أن رجلاً خاصم الأحنف وقال : لأَنْ قلت واحدة لتـسمعن عشراً، فقال : لكنّك إنْ قلت عشراً لن تسمع واحدة .

* قال المهلّب بن أبي صفرة : ما شيء أبقى للملك من العفو ، خير مناقب الملك العفو .

قال الذهبي :

ينبغي إن يكون العفو من الملك عن القتل إلا في الحدود ،وأن لا يعفو عن والٍ ظالم ولا عن قاضٍ مرتشٍ ، بل يُعجل بالعزل ، ويعاقب المتـهم بالسجن ، فحلمُ الملوك محمود إذا ما اتقوا الله وعملوا بطاعته .

* عن مجاهد قال : قال لي عمر بن عبدالعزيز : يامجاهد مـا يقـول الناس في ؟ قلت : يقولون : مسحور ، قال : لا ما أنا بمسحور ، ثم دعا غلاماً له فقال : ويحك ما حملك على أن سقيتنى السم ؟

قال : ألف دينار أعطيتها وأن أعتق قال : هاتها ، فجاء بها فألقاهـا في بيت المال وقال : اذهب حيث لا يراك أحد .

* كان لابن عون ناقة يغزو عليها ويحج ، وكان بها معجباً قـال : فأمر غلاماً يستقى عليها فجاء وقد ضربها على وجهها فسالت عينها على

خدها ، فقلنا : إن كان من ابن عون شيء فاليوم ، قال : فلم يلبث أن نزل ، فلما نظر إلى الناقة قال : سبحان الله أفلا غير الوجه ، بارك الله فيك اخرج عني اشهدوا أنه حرّ .

* روى أن المنصور حج وأقاد مالكاً من جعفر بن سليمان الذي كان ضربه فأبى مالك وقال : معاذ الله .

* عن المأمون قال : لو عرف الناس حبي للعفو، لتقرّبوا إليّ بالجرائم، وأخاف أن لا أُوجر فيه .

* قال أحمد بن سنان : بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل يوم فتح «عاصمة» بابك وظفر به ، أو في فتح عمورية ، فقال : هو في حل من ضربي .

* قال أحمد بن حنبل : كل من ذكرني ففي حل إلا مبتدعاً ، وقد جعلت أبا إسحاق ـــ يعني : المعتصم ـــ في حلّ ، ورأيت الله يقول : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ ﴾ [النور] .

أمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قصة مسطح .

قال أبو عبدالله وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم في سببك .

* عن هشام ، قال : كان أبو السوار يعرض له الرجل فيشتمه فيقول : إن كنت كما قلت إني إذاً لرجل سوء .

* ومن كلام المنتصر إذ عفا عن أبي العمرو الشاري : لذة العفو أعذب من لذة التشفي ، وأقبح فعال المقتدر الانتقام .

* قال أيوب : لا يَنْبُلُ الرجل حتى يكون فيه خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عنهم .

* قال عمر بن عبدالعزيز : أحب الأمور إلى الله ثلاثة : العفو في القدرة، والقصد في الجِدَةِ ، والرفق في العبادة ، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة .

العفو والصفح من الفتوة [1]

ولابن القيم رحمه الله كلام يُكتب بماء الذهب في هذا الصدد ، إذ أظهر رحمه الله أن العفو والصفح من الفتوّة التي ينبغي على المسلم الحرص عليها ، والتجمل بها ، فقال رحمه الله .

قال صاحب المنازل : شيخ الإسلام الهروي رحمه الله :

ومن مظاهرها ـــ أي الفتوة ـــ " ترك الخصومة ، والتغافل عن الزلّة، ونسيان الأذية .

فلا يخاصم بلسانه ، ولا ينوي الخصومة بقلبه، ولا يخطرها على باله، هذا في حق نفسه ..

وأما " التغافل عن الزلة ، فهو أنه إذا رأى من أحد زلّة يوجب عليه الشرع أخذه بها أظهر أنه لم يرها ، لئلا يعرض صاحبها للوحشة .

وفتوة التغافل : أرفع من فتوة الكتمان مع الرؤية .

وأما " نسيان الأذية " فهو بأن تنسى أذية من نالك بأذى ، ليصفو قلبك له ، ولا تستوحش منه .

ثم من مظاهرها ـــ أي الفتوّة ـــ " أن تُقرّب من يقصيك ، وتُكرم

---

[1] (تهذيب مدارج السالكين / ٢ / ٦٩٣ ـــ ٦٩٥) هذبه : عبد المنعم صالح العلي ، مؤسسة الرسالة ، ط٦ .

من يؤذيك وتعتذر إلى من يجني عليك ، سماحة لا كظمــاً ، ومــودة لا مصابرة " .

بأن يكون الإحسان والإساءة بينك وبينــه خِطَّــتين ، فخطتُــكَ : الإحسان وخطتُه: الإساءة .

ومن أراد فهم هذه الدرجة كما ينبغي ، فلينظر إلى سيرة النبي ﷺ مع الناس يجدها هذه بعينها ، ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد ســواه ، ثم للورثة منها بحسب سهامهم من التركة .

ومارأيت أحداً قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيميــة ـــ قدّس الله روحه ـــ وكان بعض أصحابه الأكابر يقــول : وددتُ أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه .

وما رأيته يدعو على أحد منهم قط ، وكان يدعو لهم .

وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه، وأشدّهم عداوةً وأذى له ، فنهرني وتنكر لي واسترجع ، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزّاهم وقال : إني لكم مكانه ، ولا يكون لكم أمر تحتــاجون فيــه إلى مــساعدة إلا وساعدتكم فيه ، ونحو هذا من الكلام ، فسرُّوا به ، ودعوا له ، وعظموا هذه الحال منه ، فرحمه الله ورضي عنه .

ومعنى الاعتذار إلى من يجني عليك ، أنك تنــزل نفسك منــــزلة

الجاني لا المجني عليه ، والجاني خليق بالعذر .

والذي يُشهدك هذا المشهد : أنك تعلم أنه إنما سُلِّط عليك بذنب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى] .

فإذا علمت أنك بدأت بالجناية فانتقم الله منك على يده : كنت في الحقيقة أولى بالاعتذار .

فالفتوّة كلّ الفتوّة : أن لا يظهر له منك عتب ولا تغيرّ عمّا كان له منك قبل معاداته ، ولا تطوى عنه بشْرك ولا برّك ،وإذا لم تخجل أنت من قيامه بين يديك مقام المعتذر : لم يكن لك في الفتوة نصيب .

العفو والصفح طريقنا للقلوب

العفو والصفح من أعظم وسائل كسب القلوب ،وجلـــب المـــودة والمحبّة بين العباد وسبب لعلو المنـــزلة ، وشرف النفس وترفعها ، ولا ينبل الرجل حتى يكون متخلقاً بخلق العفو والصفح .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت] .

قال العلامة ابن عثيمين يرحمه الله :

جاءت النتيجة بإذا الفجائية ، لأن «إذا» الفجائيـــة تـــدلُّ علـــى الحدوث الفـــوري في نتيجتـــها ﴿ ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1]اهـــ .

وقال العلامة السعدي رحمه الله :

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ أي : فإذا أساء إليك مسيء من الخلق

---

[1] (مكارم الأخلاق /٢٦) لابن عثيمين رحمه .

خصوصاً من له حق كبير عليك كالأقارب والأصحاب ونحوهم إساءة بالقول أو بالفعل ،فقابله بالإحسان إليه ، فإن قطعك فصله ، وإن ظلمك فاعف عنه وإن تكلم فيك غائباً أو حاضراً فلا تقابله ، بل اعف عنه ، وعامله باللين وإن هجرك وترك خطابك فطيّب له ا لكلام ، وابذل له السلام ، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان حصل فائدة عظيمة .

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ أي: كأنه قريب شفيق .

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي : وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ نفوسهم على ماتكره ، وأجبروها على مايحبه الله ، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه ، فكيف بالإحسان ؟!! .

فإذا صبّر الإنسان نفسه ، وامتثل أمر ربه ، وعرف جزيل الثواب ، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله لايفيده شيئاً ، ولا يزيد العداوة إلا شدة ، وإن إحسانه إليه ليس بواضع قدره ، بل مَنْ تواضع لله رفعه ، هان عليه الأمر ، و فعل ذلك متلذذاً مستحلياً له .

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ لكونها من خصال خواص الخلق ، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة ، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق . أ هـ .

الأسباب التي تعين على العفو والصفح

١ ـــ تقوى الله :

أول هذه الأسباب التي تدفع العبد دفعاً إلى العفو والصفح عمن أساء إليه تقوى الله تعالى ، لأن المرء عندئذٍ سوف يرجو ثـــواب الله العاجـــل والآجل ، فهو بتقوى ربه قد جمع صفات الخير كلها ومن ذلك مكـــارم الأخلاق التي تحضه على العفو والصفح عمن أساء إليه .

قال تعـــالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف / ٩٠] .

٢ ـــ الصبـــــــر :

قـــال تعـــالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[فصلت:٣٤،٣٥] .

قال السعدي رحمه الله :

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي : وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ

صَبَرُوا ﴾ نفوسهم على ماتكره ، وأجبروها على مايحبه الله ، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه ، فكيف بالإحسان؟!! فإذا صبّر الإنسان نفسه ، وامتثل أمر ربه ، وعرف جزيل الثواب ، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله لايفيده شيئاً ، ولا يزيد العداوة إلا شدة ، وأن إحسانه إليه ليس بواضع قدره ، بل من تواضع لله رفعه ، هان عليه الأمر ، وفعل ذلك متلذذاً مستحلياً له .

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ لكونها من خصال خواص الخلق التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة التي هي أكبر خصال مكارم الأخلاق . أ هـ .

٣ ـ راحة النفس ووداع القلب :

قال ابن حبّان رحمه الله :

ولو لم يكن في الصفح وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل أن لايكدِّر وقته بالدخول في أخلاق البهائم بالمجازاة على الإساءة إساءة ، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسيء وإن لم يكن بادئاً .أ هـ [1].

---

[1] (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / ١٦٩) .

فالظالم أو المنتقم لنفسه يغلب عليه الانشغال بما حدث من التفكير في كيفية ردع الجاني باي وسيلة كانت ربما كانت شرعية أو غير ذلك من وسائل كثر استخدامها في العصر الحديث ، كالتجني على الصائل « الجاني » ظلماً بإلصاق التهم به جزافاً ، أو الغدر به في مكيدة نصبها له ... الخ .

فتجد أن من هذا حاله تفارقه الراحة ، وتذهب من حياته الطمأنينة ، ويتشتت باله، وتهد قواه الفكرية والجسدية، و يُصاب بالذهول والشرود .

فلوعلم هذا أن بالعفو والصفح يرتاح قلبه ، وتهدأ سريرته ، ويشرق وجهه لحمله ذلك على التخلق بما أوصى الله به رسوله من العفو والصفح عمن أساء إليه .

٤ ـــ **كما تدين تدان** ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾:

وتلك قاعدة يجب على الجميع تذكرها ، فلو عفوت عمن ظلمك عفا الله عنك في الدنيا والآخرة .

ولابد وأن تمرّبك أزمات تجد رعاية الله لك بالمرصاد ، وترى عونه تعالى يحيطك من كل جانب ، فأنت الذي ظُلمْتَ وقَدَرْتَ على الإنتقام ولكن لوجه الله عفوت ، فلما كبا جوادك ، وهفا ولو مرة فؤادك ، ووجدت نفسك تحت مطارق الظلمة أو صحوت على مطالب أهل الحق

وقد عجزت عن الوفاء ، وقلّ عند هذه العثرة النصير ، رأيت بوادر الفرج تأتي من قبل الله ، و عندها تتذكر كم مرة عفوت فيها عمن ظلمك فتقلب يديك عجباً من لطف الله فحقاً { كما تَدين تُدان }

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

٥ــ الاقتداء بإمام العفو والصفح ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم:

وهذه الرسالة لمواقفه العجيبة في عفوه وصفحه عمن أساء إليه ، فانظُرها ترى مايفوق الخيال ممّا مَنّ الله به على رسوله ﷺ .

وفي ذلك أكبر دافع للعبد المسلم بأن يحذو حذو رسوله ﷺ في هذا الخلق العظيم ، فهذا رسول الله وقد ظُلِمَ كثيراً وعُذّب كثيراً وكان يستطيع الانتقام ولكنّه آثر ماعند الله وصدق الله إذ قال ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ ؟! وما هي قيمتنا ؟! وما هو قدْرنا ؟!حتى لانعفو!!.

العفو والصفح من دعائم الأمن في المجتمع

إن العفو والصفح من أعظم مكارم الأخلاق على الإطــلاق ، وإن كتاب الله تعالى ليذخر بعشرات الآيات التي تحث على العفو والــصفح ، وكذلك السنة المطهرة .

وضد العفو والصفح الانتقام والمعاقبة بالمثل والتشفي ، وتخيل معــي مجتمعاً ساد فيه حب العدوان والانتقام ، كيف يحيا الناس في ظل هــذه القلاقل والفواجع التي يرونها صباحاً ومساءً ؟! .

والذي يتخيل صورة ا لمجتمع الإسلامي عندما تنتشر فيه الفوضى ولا يأمن الإنسان فيه على نفسه وأهله يعرف حقيقة قيمة الأمن الذي يقــوم على دعائم العدل ، والعفو والصفح والحب والإخاء .

انظر إلى من غلب واشتط به الأمر حتى ظلم أخاً له ، ثم تمكّن منــه المظلوم ، وحُكم على الظالم بالقصاص ، سواء كان القصاص في الــدماء أو في الحقوق المالية أو غيرها ثم كان العدل شديد الوقع على الظــالم ، أليماً عسيراً على نفسه ، ولكنه لا يملك من الأمر شيئاً ، فأمره موكــول بيد المظلوم وهذا حكم الله تعالى ، ولابد من الإنصاف .

ثم جاء المظلوم وعفا عن هذا الذي كادت روحه أن تخرج من شدة

الكرب الذي هو فيه من جرّاء فعله الذي أوبقه هذا الموبق ، عفا المظلوم لا لشيء سوى مرضاة الله تعالى .

السؤال هنا : هذا المعتدي الظالم الذي عُفِيَ عنه ، ألا يكون بعد ذلك عنصراً بنّاءً في مجتمعه ، فيتذوق طعم العفو فيعفو ، ويتذوق طعم الشريعة فيستقيم ، ويستنشق عبير الإيمان فيؤمن ... ؟! اللهم نعم !

وهذا في الغالب ، وهناك من لاينفع فيه داء ، لأن الداء قد استحكم وتمكن منه فهذا إن ظهر حاله فيجب تنفيذ حكم الله فيه بلا هوادة وهذا غاية الأمن ومن أجل ذلك قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ .

فعندما يعيش المرء بين أناس قد تربّوا على السماحة واللين والعفو والصفح يعلم أنه لن يُظلم ، ويحيا بينهم مطمئن القلب هادئ البال ، مستريح النفس ، لأنه يعلم أنه آمن بين قومه ، حتى وإن زلت به القدم فسيجد يداً حنونة ، وقلوباً كبيرة تنتشله من الهوة التي سقط فيها ، فيرجع بعد كبوته أصلب عوداً من ذي قبل .

هل يستحب العفو والصفح في كل الأحوال ؟ [1]:

يستحب العفو والصفح إذا اعترف الظالم بذنبه وسقط في يديه من جراء ظلمه ، ويستحب العفو والصفح أيضاً ما دامت المواقف تقتضى

---

(١) (التسهيل لتأويل التنزيل «سورة النور» /١٣٢، ١٣٣) .

العفو والصفح والمسامحة ، وكذلك إذا كان الظالم يقدر قيمة هذا العفـو والصفح .

أما إذا كان العفو والصفح سيزيدان الطاغي في طغيانه والبـاغي في بغيه ، فحينئذٍ يَجْدُرُ بنا أن نأخذ على أيدي الطغاة البغاة الظلمـة حـتى ينكفوا عن أذاهم ويقلعوا عن شرهم .

وقد دلت على ذلك أدلة :

فمن ذلك قوله تعالى في شأن أهل الإيمان ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الشورى] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[الحجرات: ٩].

وقد دعا النبي ﷺ على أقوام فقال عليه الصلاة والسلام : «اللـهم عليك بقريش» اللهم عليك بأبي جهل وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبـة وأمية بن خلف وعقبة ابن أبي معيط » [1] .

---

(١) مسلم : كتاب الجهاد ، باب : ما لقى النبي ﷺ من أذى المـشركين والمنـافقين ، رقـم (٤٦٢٥) (نووي /٢/٣٦٢) .

العفو ليس ذلاً وضعفاً !![1] :

قد يظن ظانٌّ أن العفو عن المسيء ، والإحسان إليه مع القدرة عليه موجب للذلّة والمهانة ، وأنه قد يجرّ إلى تطاول السفهاء .

وهذا خطأ ، ذلك أن العفو والحلم لا يشتبه بالذلة بحال ، فإن الذلة احتمال الأذى على وجه يذهب بالكرامة .

أما الحلم ، فهو إغضاء الرجل عن المكروه ، حيث يزيده الإغضاء في أعين الناس رفعة ومهابة .

سياسة الحلم لا بطشٌ يكدّرها فهو المهيب ولا تخشى بوادره

فالعفو إسقاط حقك جوداً ،وكرماً ، وإحساناً مع قدرتك على الانتقام ، فتؤثر الترك رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق .

بخلاف الذل ، فإن صاحبه يترك الانتقام عجزاً ، وخوفاً ، ومهابة نفس ، فهذا غير محمود بل لعل المنتقم بالحق أحسن حالاً منه .

---

[1] (رسائل في التربية والأخلاق والسلوك / ٥٢٤) .

العفو والصفح والحلم
عند الشعراء*

(أ)

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن كثـرت منـه إليّ الجـرائم

فما الناس إلا واحـد من ثـلاثة ... شريف،ومشروف، ومثلٌ مقـاوم

فأما الذي فوقي : فأعرف فضـله ... وأتبع فيـه الحـقَّ ،والحـقُّ لازم

وأما الذي مثـلي: فإن زلّ أوهفا ... تفضّلتُ، إن الحلم للفضل حاكم

(ب)

لك الفضل بالعفو

أسـأت وأنكـرت أنى أسـأت ... فأفضـل ولاتك عـين المسـئ

لك الفضـل بالعـفو عما عفوت ... وإلا فأنـت القـرين السـوى

وعفـوك مقتـدراً نعمـة ... وعفـو المنـدد غـير الهـنى

• روضة العقلاء /١٦٦ــ ١٦٩) لابن حبان ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ، (الأداب الشرعية /٢/٣٣١) لابن مفلح ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عمر القيام ، مؤسسة الرسالة . (خلاصة الأثر / ٣/٢٤٥) المولى محمد بن فضل الله المحي .

(ج)

العفو راحة للقلب

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت قلبي من غمِّ العداوات

إني أحيي عدوى عند رؤيته ... لأدفع الشر عنى بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأنما قد حشي قلبي محبات

(د)

يارب هَبْ لي منك حِلْما

فيارب هبْ لي منك حِلماً فإنني ... أرى الحِلْم لم يندمْ عليه حليم

ويارب هب لي منك عزماً على التقى ... أقيمُ به ماعشتُ حيث أقيم

ألا إن تقوى الله أكرمُ نسبةٍ ... تسامى بها عند الفخار كريم

(هـ)

العفو عن الأقارب

وإن الذي بيني وبين بني أبي

وبين بني عمي لمختلف جدا

إذا أقدحوا لي نار حرب بزندهم

قدحت لهم في كل مكرمة زندا

وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم

وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

ولا أحمـــل الحقــد القــديم عليــهمُ
وليس رئيس القــوم من يحمل الحقدا
وأعطيــهم مــالي إذا كنــت واجــدا
وإن قــلّ مــالي لم أكــلّفهم رفــدا

(و)

كَظَمْتُ على أذاهم وانْطَوَيْتُ

وما أشــكو تلــوّن أهــل ودّي
ولو أَجــدْتُ شِكايتَهم شَكَوْتُ
مَلَلْتُ عتــابهم ويئــست منهم
فما أرجــوهم فيمن رجــوت
إذا أَدْمَــتْ قــوارضهم فؤادي
كظــمت على أذاهم وانطويت
ورحت عليهم طَــلقَ المُحــيّا
كــأني ما سَمِــعْتُ ولا رأيتُ
تَجَنّــوا لي ذنــوباً مــا جنتــها
يــداي ولا أمــرت ولا نهيت
ولا والله مــا أضمــرتُ غَــدْراً
كما قد أظــهروه ولا نَــوَيتُ
ويوم الحشــر مــوعدنا وتبــدو
صحــيفةُ ما جَنَوْهُ ومــا جنيت
ويحــكم بيننا المــولى بِعَــدْلٍ
فــويل للخُصُــومِ إذا ادّعيــتُ



الشجاعة والترغيب فيها ومواقف عظيمة فيها من النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وكيف تكتسب الشجاعة والطريق إليها



تمهيد

فإن الشجاعة من أعظم خِلال الإسلام ، ولها المنـــزلة العليـــا عنـــد عقلاء البشر قاطبة .

والشجاعة كذلك من أفضل مكارم الأخلاق الإسلامية ، ولا يعرف قيمة الشجاعة إلا الجبناء الذين تمرّغت أنوفهم على أعتاب الظلمة الخونة أصحاب النفوذ والبطش والخيلاء ، فكم يرجوا هؤلاء الجبناء أن تقـــوى قلوبهم ، ويعظم الخوف عندهم من ربهم، فيروا أن كل ما دون الله حقير، ويعلمون أن العظمة كلها لله ، فهو أحق بالخوف من هؤلاء وهـــؤلاء ، ولكن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، ويوم أن يتبرأ هؤلاء من حب الدنيا، ويخلعوها من قلوبهم ، عندئذ ستحل الشجاعة مكان الجبن ، وتأتى القناعة على جبال الطمع فتنثرها نثراً، وتذرّها ذراً فتجعلها قاعاً صفصفاً .

والشجاعة يعرفها كذلك أصحابها ، فتراهم محفوفين بالعزة والرفعـــة والشموخ والإباء ،والتواضع لهم رداء يعرفون قدر أنفسهم يوم أن رضوا بالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً .

فبالشجاعة تُهز أعواد المنابر ، ويُوعظ بالله كـــل ســـادر ، ويـــؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويُخوّف العاصـــي ، ويُرجّـــى الطـــائع ، وبالشجاعة نضرب على أيدي العصاة ، ونُلْجِم أفواه دعاة الشر ، فنُوقف

زحفهم بالحجة ، ونُخرس ألسنتهم ببياض المحجة ، فالدليل* الساطع ، والحزم القاطع ، والرد الماتع يعمل في هؤلاء عمل السيف بل أشد .

ألا ترى أن الرسول ﷺ لما أراد من قريش أن تقول «لا إله إلا الله» فكأنه أتاهم بداهية دهياء ، وبعقبة كأْداء ، حتى رموه عن قوس واحدة .

فلولا الشجاعة ما قام لله ناصح ،وما كافح عن الإسلام منافح ، فهي من الأسس التي جاء بها الإسلام وأكد عليها .

فتحت البلاد ، ودخل في الإسلام الحاضر والباد ، وأُخْرِج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، وصار للمسلمين شوكة ودولة وصار لهم في كل بقعة راية ، وأصبح لهم في كل عنق ولاية ، وصاروا للعالمين آية ، ينظر إليهم أعداؤهم بقلوب واجفة ، فمن أراد بهم غائلة لم يكن لها من دون الله كاشفة ، وحكّمهم الله في البلاد والعباد بهذا الدين ، وبهذا المنهج القويم ، فكانوا حقاً رهباناً بالليل أسوداً بالنهار .

بالشجاعة عرفنا أسد الله حمزة ، وسيف الله خالداً ، وغسيل الملائكة حنظلة ، ووفاء عهد أنس بن النضر ، وعصابة الموت لأبي دجانة ، وذا الجناحين جعفراً ، وحداء ابن رواحة ، ووجوب الجنة لطلحة ،وتضحية الأنصار السبعة بأنفسهم دون رسول الله ﷺ في أحد .

سلوا الصديق عن الهجرة ، وعن حرب الردة ، وسلوا الفاروق عن فتح المدائن ، ودك الحصون، ونسف القلاع ، وكذا صبر عثمان في الفتنة،

فلم يسفك في سبيله من الدماء قطرة ، ومالت عنقه ، وسال دمه ، فوق مصحفه ، وهو راضٍ بقضاء ربه .

وسلوا ساحات الوغى عن علي بن أبي طالب ، ودكّه ل

صلب أشجع الشجاعة صنديد قريش عمرو بن ود .

وأين نحن من يوم بدر ، وسائر المواقع لأصحاب رســـول الله ﷺ في مقارعة رايات الكفر .

فلله ما أشجع هؤلاء ! ولله ما أقوى قلوب هؤلاء !

إن الشجاعة بجميع معانيها اجتمعت في أصحاب رسول الله ﷺ وفي جميع المؤمنين الذين ما بدّلوا وما غيّروا ، والتزموا الجادة ، فهـــم علـــى الدرب سائرين ، وبخصال الإسلام مستمسكين .

تعريف الشجاعة

لغه : «الشجاعة» شدة القلب عند اليأس و«الأشجع» من الرجال مثل الشجاع ، وقيل : الذي فيه خفّة كالهَوَج لقوَّته و«شَجَّعَهُ تشجيعاً»قال له إنك شجاع أى قوى قلبه «تَشَجّعَ»تكلّف الشجاعة[١] .

و«شاجَعَهُ» باراه في الشجاعة و«الشجاع» الجرئ المقدام ، و«الشِّجَعَةُ» الشجاع الغلاب .

و« الشِّجَعَةُ» يقال : امرأة شَجِعَةٌ وشَجْعاء : جريئة على الرجال ، سليطة في كلامها[٢].

اصطلاحاً :

هو قوة في عزيمة النفس إلى الإقدام بعقل في مخاطرة بعمل أو قول لتحصيل خير أو دفع شر مع ما فى ذلك من توقع هلاك أو مضرة يقيناً أو ظناً .

وعَرّفها السعدى رحمه الله بقوله :

حقيقة الشجاعة هى : الصبر والثبات ،والإقدام على الأمور النافع تحصيلها أو دفعها ، وتكون في الأقوال وفى الأفعال ، فأصلها في القلب

---

[١] (مختار الصحاح /٢٠١) للرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

[٢] (المعجم الوسيط /٤٧٣) مؤلفون ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا .

وهى ثباته ، وقوته ،و سكونه عند المهمات والمخاوف [١]اهـ .

شرح التعريف :

إذا اجتمعت رغبة جامحة بتحقيق مطلوب ما مع غشاوة تحجب صورة المخاوف المرتقبة ، أو مع قناعة تهوّن وقوع المخاوف المرتقبة ، وقد يقترن بذلك انفعال غضبى ، أو انفعال تحدٍّ وتنافس ، من ذلك يتكون في النفس مركب يدفع إلى الإقدام على المخاطر ، وهو ما يسمى بالشجاعة وعلى مقدار اختلاف نسب هذه العناصر تزداد الشجاعة أو تقلّ ، ثم لا تستمر بعد وقوع الآلام فعلاً إلا بأن يدعمها خلق الصبر .

وحين يفقد الشجاع عنصر الصبر يفقد شجاعته عند نزول الآلام التي لا يصبر على تحملها ، فيكون شجاعاً في الأوائل جباناً في الأواخر ، فالصبر على تحمل المكاره التي يجرها الإقدام عن عقل وحكمة هو الذي يحافظ على استمرار خلق الشجاعة في النفس ، وقد تكون الحاجة إلى الصبر مقترنة بأول مراحل الشجاعة .

وقد توجد الشجاعة في الإقدام إلى مخاطر لا تقضى الحكمة الفكرية السليمة بجواز الإقدام إليها، لأن الخير الذي يرجى أن يتحقق بهذا الإقدام، أو الشر الذي يرجى أن يدفع بهذا الإقدام ، لا يكافئ تحمل المخاطر

---

[١] (الرياض الناضرة والحدائق النيّرة الزاهرة ../٥٦) رمادي للنشر والتوزيع الدمام .

المرتقبة ، ولكن ذلك يرجع إلى سوء تقدير صاحب هذا الإقدام لما هو فيه من أمر ، فلا يكون إقدامه من قبيل التهور أو الجنون ، بل هو شجاعة حقيقية إلا أن الفكر عنده كان مخطئاً في تقديره ، فأشبه العمل عمل المتهورين [1].

[1] (الأخلاق الإسلامية وأسسها /٢/٥٨٦) عبدالرحمن حسن الميداني، دار القلم ، دمشق، بيروت .

الترغيب في الشجاعة
من كتاب الله تعالى

١ـ قـال تعـالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران] .

قال القاسمي رحمه الله :

﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ ﴾ أي رجعوا من حمراء الأسـد ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ يعنى العافية وكمال الشجاعة وزيادة الإيمان والتصلب في الدين..اهـ[1] .

وقال السعدي رحمه الله :

وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان ، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله ،والخوف المحمود : ما حجـز العبد عن محارم الله .اهـ

---

[1] (محاسن التأويل /٢/١٧٧) للقاسمي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت .

٢ــ قال تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَـهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الأحزاب] .

قال القاسمي رحمه الله تعالى :

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ﴾ في الصبر والثبات، والقيام بما كتب عليهم من القتال لإعلاء كلمة الحق ، ومن العمل بالصالحات ومجانبة السيئات﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ﴾ أي أدى ما التزمه ووفى به، فقاتل مع الرسول عليه الصلاة والسلام صادقاً ، حتى قتل شهيداً . اهـ[1]

وهذا الذي يقدم روحه رخيصة في سبيل الله تعالى ، ويقتحم بنفسه ساحات الوغى ،وينازل الشجعان وهو يرى من جميع الجهات الدماء والأشلاء والجماجم ولا يرده ذلك عن البذل والتضحية والفداء فمما لا شك فيه أن من يفعل هذا الفعل هو من أشجع الشجعان وهو ممن ينتظر قضاء نحبه في سبيل الله كمن أفضوا إلى الله على هذا الحال الصادق في الإقدام والإخلاص لله تعالى في الجهاد لرفع راية التوحيد عالية خفاقة .

٣ــ قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا

---

[1] (محاسن التأويل /٥/٤٩٩) .

فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال] .

قال السعدي رحمه الله :

فمتى قوى إيمان العبد بالله ، وبقضائه وقدره ، وقوى يقينه بـالثواب والعقاب ، وتم توكله على الله وثقته بكفاية الله .

وعلم أن الخلق لا يضرون ولا ينفعون وأن نواصيهم بيد الله ، وعلم الآثار الجليلة الناشئة عن الشجاعة ، متى تمكنت هذه المعارف من قلبه ، قوى قلبه ، واطمأن فؤاده ، وأقدم على كل قول وفعل ينفع الإقدام عليه ...[1]اهـ .

٤ـ وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ

---

[1] (الرياض الناظرة ../٥٦) .

يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال] .

قال السعدي رحمه الله :

يقول تعالى لنبيه ﷺ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ أي : حثهم وأنهضهم إليه بكل ما يقوى عزائمهم ، وينشط هممهم ، من الترغيب في الجهاد ومقارعة الأعداء والترهيب من ضد ذلك ، وذكر فضائل الشجاعة والصبر ، وما يترتب على ذلك من خير الدنيا والآخرة ، وذكر مضار الجبن ، وأنه من الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة ، وأن الشجاعة بالمؤمنين أولى من غيرهم ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ .

﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾يكون الواحد بنسبة عشرة من الكفار ، وذلك بأن الكفار ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي : لا علم عندهم بما أعد الله للمجاهدين في سبيله .

فهم يقاتلون لأجل العلو في الأرض والفساد فيها ، وأنتم تفقهون

المقصود من القتال ، أنه لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه ، والذب عن كتاب الله ، وحصول الفوز الأكبر عند الله ، وهذه كلها دواع للشجاعة والصبر والإقدام على القتال . اهـ

٥ــ وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [آل عمران] .

قال الجزائري حفظه الله :

مازال السياق في الحديث عن غزوة أحد فقال تعالى لرسوله ﷺ :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ أي لا تظنن الذين استشهدوا من المؤمنين في أحد وغيرها أمواتاً لا يحسون ولا يتنعمون بطيب الرزق ولذيذ العيش ، بل هم أحياء عند ربهم يرزقون أرواحهم في حواصل طير خصر يأكلون من ثمار الجنة، ويأوون إلى قناديل معلقة بالعرش .

إنهم فرحون بما أكرمهم الله تعالى به ، ويستبشرون بإخوانهم المؤمنين الذين خلفوهم في الدنيا على الإيمان والجهاد بأنهم إذا لحقوا بهم لم يخافوا و لم يحزنوا في الدنيا على الإيمان والجهاد بأنهم إذا لحقوا بهم لم يخافوا و لم

يحزنوا لأجل ما يصيرون إليه من نعيم الجنة وكرامة الله تعالى لهم فيها .

إن الشهداء جميعاً مستبشرون فرحون بما ينعم الله عليهم ويزيـــدهم أجورهم ويزيدهم من فضله . اهـــ

الترغيب في الشجاعة من السنة المطهرة

١ـ عن عمرو بن ميمون الأوديّ قال : كان سعد يعلّم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دُبُرَ الصلاة : «اللهم إني أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أردّ إلى أرذل العمر ،وأعوذ بك من فتنة الدّنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر » .

فحدثت به مصعباً فصدقه [1] .

فالجبن إذا استحكم في الإنسان صيره ذليلاً طيلة عمره ، لأنه مسلوب الإرادة والشجاعة التي تبنى شخصيته ، وتضعه في مصاف العقلاء الأقوياء الوجهاء .

وكما أن الجبن مذلة ، فلا بد وأن تكون الشجاعة عزة ورفعة .

لذلك استعاذ النبي ﷺ من الجبن الذي يربى في المسلم أخلاق الذلة والصغار والمهانة ، وبمفهوم المخالفة في هذا الحديث وغيره كثير نعلم أن الشجاعة من محاسن الأخلاق والتي يجب علينا أن نسأل الله تعالى أن يرزقنا إياها ، ويتوّج حياتنا بها .

---

[1] البخاري : كتاب الجهاد والسير، باب : ما يتعوذ من الجبن، رقم (٢٨٢٢)(فتح /٦/٤٤).

ولقد اعتبر رسول الله ﷺ صفة الجبن من شر صفات الرجال .

عن أبي هريرة ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول «شر ما في رجل شحّ هالع ، وجبن خالع » [١] .

قال في المجمع : الهلع أشد الجزع والضجر «وجبن خالع» أي : شديد كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه والمراد به ما يعرض من نوازع الأفكار وضعف القلب عند الخوف . [٢]اهـ

٢ـ عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله : « تضمَّن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي ، وإيمان بي ، وتصديق برسولى ، فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده ! ما من كلْمٍ يُكْلَمْ في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة لهيئته حين كُلِمَ لونُهُ لَونُ دم وريحه مسكٌ .

والذي نفس محمد بيده ! لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجدُ سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى .

---

[١] صحيح : رواه أبو داود ، كتاب الجهاد : باب ، في الجرأة والجبن رقم (٢٥١١) وصححه الألباني بالرقم السابق ، طبعة بيت الأفكار .

[٢] (عون المعبود /١٣٥/٧) .

والذي نفس محمّد بيده !لوددت أنى أغزو في سبيل الله فَأُقْتَلُ ثم أغزو فأُقتل ، ثم أغزو فأُقتل [١] .

فإذا ما علم المسلم بهذا الأجر العظيم لمن جاهد في سبيل الله كـــان ذلك من أكبر العوامل التي تحثه على الجهاد في سبيل الله ،والإقبال علـــى الاستشهاد بكل بسالة وشجاعة .

كيف لا ! ورسول الله ﷺ يتمنى ذلك ، بل يتمنى ما هو أعظم مـــن ذلك ، يتمنى أن يقتل في سبيل الله ثم يحيا ليغزو في سبيل الله ثم يقتل ، ثم يحيا ليغزو ثم يقتل .

٣ـــ جميع الأحاديث التي تحض على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله تعالى ، وهى كثيرة جداً كلها تحث المسلم على الشجاعة والإقدام ،والفوز بالجنان ، والرضوان من الرحمن .

وأيضاً الأحاديث التي ترغب الإنسان في الدفاع عن أهله وماله وأن من قُتل دون ذلك فهو شهيد فهي أيضاً تحث ا لمسلم على الشجاعة وتعيذه مـــن الجبن ، وترغبه أن يحيا مرفوع الرأس عزيز الجانب بإسلامه وعقيدته التى تأبى له أنه يعيش تحت وطأة الظلم بدون دفاع، أو حتى إظهار عدم الرضى بذلك.

---

(١) مسلم : كتاب الجهاد ، باب : فضل الجهاد والخروج في سبيل الله رقم (٤٨٣٦) (نووى /١٣/٢٣) .

الشجاعة فطريّة ومكتسبة

يتفاوت الناس فيما لديهم من شجاعة أو جبن في أصل فطرهم ، فبعض الناس مفطرون على خلق الشجاعة ، وبعضهم مفطورون على الجبن ، وبعض الناس أشجع من بعض في أصل الفطرة .

فللشجاعة عند الشجعان نِسَبٌ متفاوتة .

وبعض الناس أجبن من بعض في أصل الفطرة ، وللجبن عند الجبناء نِسَبٌ متفاوتة ، وما من شجاع إلا لديه نسبة ما من الجبن الفطري ، وما من جبان إلا لديه نسبة ما من الشجاعة الفطرية ، والتفاوت بين الناس فيما لدى كلّ منهم من نسبة من الجبن ونسبة من الشجاعة ، كسائر المزدوجات في التكوين النفسي أو التكوين الجسدي .

ففي التكوين الجسدي نلاحظ هرمونات الذكورة والأنوثة في كلّ ذكر وأنثى ، ومتى غلبت نسبة إحداهما الأخرى برزت صفاتها .

فإن كانت الغالبة هي هرمونات الذكورة كان الإنسان ذكراً، وإن

كانت الغالبة هي هرمونات الأنوثة كان الإنسان أنثى ، وعند التـــساوي يكون الإنسان خنثى .

كذلك مزدوج الجبن والشجاعة في كل إنسان [١] .

---

(١) (الأخلاق الإسلامية وأسُسُهَا / ٥٨٧) .

مدح الشجاعة وبيان حقيقتها *

لما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم بين الله سبحانه أنه من تولّى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك ، ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة] .

وقد ذكر الجهاد بالنفس والمال في سبيله ، ومدحه في غير آية من كتابه وذلك هو الشجاعة والسماحة في طاعته سبحانه وطاعة رسوله .

وملاك الشجاعة الصبر الذي يتضمن قوة القلب وثباته ، ولهذا قال

---

* (الاستقامة /٢/٢٦٩ـ ٢٧١) باختصار ، لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ محمد رشاد سالم ، دار الهدى النبوي ، ط١، ١٤٢٠هـ قصر .

تعالى : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال] .

والشجاعة ليست هي قوة البدن ، فقد يكون الرجل قوى البدن ضعيف القلب ، وإنما هي قوة القلب وثباته .

فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال ، وعلى قوة القلب وخبرته به ، والمحمود ما كان بعلم ومعرفة ، دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم .

ولهذا كان القوى الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح .

فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد .

أمثلة حقيقية في الشجاعة الإيمانية *

المثال الأول : فألقى تمرات كنّ في يده :

عن جابر بن عبدالله قال : قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد : أرأيت إنْ قتلت فأين أنا ؟ قال رسول الله ﷺ : «في الجنة» فألقى تمرات كنّ في يده، ثم قاتل حتى قتل [(١)] .

يتبين لنا من قصة هذا الحديث ، أن الإيمان بما بعد الموت كما جاء في العقيدة الإسلامية ، يشحن قلوب المؤمنين بشجاعة نادرة ، تدفع بالمؤمن إلى ساحة الموت بانطلاق عجيب ينقطع فيه عن الدنيا وما فيها ، تعلقاً بالنعيم المقيم الذي يناديه من الآخرة ، وشوقاً إلى ما في الجنة من كرامة ورضوان من الله .

ولذلك لّما سأل هذا الصحابي عن مكانه بعد الموت إذا هو قتل في سبيل الله ، وأخبره رسول الله ﷺ بأن مكانه في الجنة ، توقّدت في قلبه نيران الشوق إلى لقاء ربه ، فلم يصبر مدة يسيرة يأكل فيها تمرات معدوات كانت في يده مع ما يشعر به من جوع ، بل ألقى بها واندفع

---

* (الأخلاق الإسلامية وأسسها /٢/٦٠٢ ــ ٦٠٦) .

(١) مسلم : كتاب الجهاد ، باب : ثبوت الجنة للشهيد رقم (٤٨٩٠) (نووى /١٣/٤٦) .

بشجاعة نادرة، يبتغي الشهادة في سبيل الله ، ومازال يقاتل قتال المستميت حتى قتل ﷺ وأرضاه .

ومن هذا نستدل على أن من أساليب تربية قلوب المؤمنين على خلق الشجاعة أسلوب غرس اليقين بما أعده الله من كرامة ونعيم مقيم في الجنة، للذين يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتلون ويُقْتلون ، وذلك كما في هذا الأسلوب من تحويل مطامع الأنفس إلى ما هو أجل من الدنيا وما فيها ، وعندئذ يغدو الحرص على الدنيا في مرتبة منخفضة جداً بالنسبة إلى الحرص على الآخرة وما فيها من أجر عظيم وثواب جزيل .

المثال الثاني : ليراني الله ما أصنع :

عن ثابت ، قال : قال أنس : عمّي الذي سُمّيت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدراً ، قال : فشق عليه ، قال : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غُيِّبْتُ عنه ، وإن أراني الله مشهداً ، فيما بعد مع رسول الله ﷺ لَيَرَانِيَ الله ما أصنع ، قال : فهاب أن يقول غيرها ، قال : فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو ! أين ؟ فقال : واهاً لريح الجنة ، أجده دون أحد ، قال : فقاتلهم حتى قتل ، قال : فوُجِدَ في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية ، قال فقالت أخته ، عَمَّتِي الربيع بنت النضر ، فما عرفت أخي إلا ببنانه .



ونـزلت هذه الآيـة : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَـهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه [1] .

في هذا الحديث قصة من قصص بطولات أصحاب الرسول ﷺ ، إن أنس بن النضر ﷺ أثبت في أحد أنه يتحلى بخلقين عظيمين من أخـلاق الإيمان :

الأول : شجاعته النادرة حتى الشهادة ، مع الصبر على آلام القرح ، والاستهانة بالحياة الدنيا ، طلباً لرضوان الله والجنة .

الثاني : وفاؤه التام بما عاهد الله عليه ، إذ قال : ليرين الله ما أصـنع فوفى ، فقاتل قتالاً شديداً صادقاً ، وضحّى تضحيات لم يبـذل مثلـها عظماء الأبطال .

وكان ما قدمه رضوان الله عليه مظهراً من مظاهر إيمانه القوى الذي ملأ أبعاد فكره وقلبه ونفسه .

المثال الثالث : ففلق به هام المشركين :

عن أنس ، أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد ، فقال : « مـن يأخذ منّي هذا ؟ » فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول : أنا، أنا قال:

---

[1] مسلم: كتاب الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد، رقم (٤٨٩٥) (نووى /١٣/ ٥٠).

«فمن يأخذه بحقه؟ » قال : فأحجم القوم ، فقال : سماك بن خَرَشَـة ، أبو دجانة : أنا آخذه بحقه .

قال : فأخذه ففلق به هامَ المشركين . [١]

يلاحظ أن عرض رسول الله ﷺ السيف على أصحابه بالشكل الذى عرضه في يوم معركة ذات شأن ، يتضمن إثارة روح المنافسة الكريمة بينهم لغرس خلق علوا الهمّة في نفوسهم ،والتحمس لطلب المعالى واكتشاف الشجعان الأبطال فيهم .

لقد امتحنهم في طريقة العرض التي استخدمها مرتين :

الأولى : امتحنهم بها في مجال الطمع بالحصول على تكريم خاص منه صلوات الله عليه وسلامه ، فاستشرفت نفوسهم جميعاً لذلك ، وانطلق كل واحد منهم يقول : أنا ، إذ كان عرضاً لعطاء خالٍ من مسئولية مرافقة له ، فرغب كل واحد منهم في أن يكون هو الظافر به .

الثانية : كان العرض فيها مقترنا بالمسؤولية المقصودة من العطاء ، عندئذ عرف الصحابة أن من يأخذ السيف لابد أن يعطى مع أخذه وعداً أو عهداً يلتزم بتنفيذه تجاه الله والرسول ، وذلك بأن يبلى فيه بلاء حسناً

---

[١] مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي دجانة ...رقم (٦٣٠٣) (نووى/١٦/٢٤٢) .

في القتال .

وهذا ما جعلهم يحجمون ، ويفكرون بالأمر الذي سيعطون عليه العهد ، إذا هم وافقوا على أخذ السيف من الرسول بحقه .

وهنا نجد أن واحداً منهم قد وزن نفسه وزناً صحيحاً ، وأحسّ من نفسه أنه على استعداد لأن يفي بعهده ووعده ، ويقاتل أعداء الله بسيف رسول الله ﷺ قتال المستميت ، حتى ينكسر السيف أو يستشهد .

فقال أبو دجانة : أنا آخذه بحقه ، فأعطاه الرسول السيف ، فأخذه فوفى بحقه تماماً ، فقاتل به وأبلى بلاءً حسناً ، وأثبت أنه وفيٌّ ، شجاع مقدام ، وضرب في الجهاد في سبيل الله مثلاً رائعاً دلّ على شجاعته وبسالته وصدقه ، كما تذكر كتب السيرة .

ولا نشك في أن عدداً وفيراً من أصحاب رسول الله ﷺ في هذه المعركة كان قادراً على أن يأخذ سيف رسول الله بحقه ،ولكن مسؤولية الوعد والعهد كانت مسؤولية كبيرة في نفوسهم ، جعلتهم يتريثون حتى يزنوا أنفسهم وزناً صحيحاً .

وهذا يدل على أنهم كانوا يتحلّون بأخلاق عظيمة تجعلهم لا يعطون الوعد حتى يكونوا عازمين على الوفاء به ، وحتى يأنسوا من أنفسهم القدرة على ذلك .

وهذا من أثر التربية الإسلامية التي ربّاهم عليها رسول الله ﷺ

وغرستها في قراره نفوسهم تعاليم القرآن الكريم .

المثال الرابع :

البراء بن مالك وحديقة الموت :

عن أنس بن مالك مرفوعاً قال : « كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرّه » .

ولقي البراء زحفاً فقالوا : يابراء أقسم على ربك ، فقال : أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم ، ولقي زحفاً آخر ، فقالوا : يابراء أقسم على ربك ، فقال : أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم ، وألحقني بنبيك ، فمنحوا أكتافهم ، وقتل البراء ﷺ [1] .

في يوم اليمامة أغلقت بنو حنيفة أنصار مسيلمة الكذاب الباب عليهم، وأحاط بهم الصحابة ، فقال البراء بن مالك : يامعشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة ، فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها ، فلم يزل يقاتلهم دون باها حتى فتحه ، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله .

وقال الذهبي : بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه

---

[1] رواه الحاكم (٣/٢٩٢) وصححه ،ووافقه الذهبي والترمذي (٣٨٥٣) المناقب بمعناه مختصراً وقال : حسن صحيح من هذا الوجه .

أن يحتملوه على ترس على أسنة رماحهم ويلقوه في الحديقة ، فاقتحم إليهم وشد عليهم وقاتل حتى افتتح باب الحديقة ، فجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحاً ، ولذلك قام خالد بن الوليد عليه شهراً يداوى جراحه[1] .

فلله هذه المواقف الإيمانية ما أعظمها بركة على الأمة وما أكثر عائدها وأعظم فائدها ، إنها مواقف الأبطال في ساحات القتال ، إنها مواقف رجال باعوا نفوسهم للكبير المتعال ، فما تلكأوافى تسليم المبيع ، ولا تعللوا بالأباطيل ، فلله درهم ، وعلى الله أجرهم [2] .

المثال الخامس : صدق الله فصدقه :

عن شداد بن الهاد ﷺ أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبياً فقسّم وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه ، فقال : ماهذا ؟ قالوا : قسمٌ قسمه لك النبي ﷺ .

فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ ، فقال : ماهذا ؟ قال : «قسمته لك» قال : ما على هذا اتبعتك ، ،لكنى اتبعتك على أن أرمى هاهنا ــ وأشار

---

[1] (سير أعلام النبلاء /١/١٩٦) .

[2] (مواقف إيمانية /٢١٠) أحمد فريد .

إلى حلقه ـــ بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقـال : « إن تـصدق الله يصدقك » .

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو ، فأتى به النبي ﷺ يُحْمَلُ قد أصاب السهم حيث أشار ، فقال النبي ﷺ : «أهو هو ؟ » قالوا : نعم . قال : «صدق الله فصدقه» .

ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ، ثم قدمه فصلى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته : «اللهم هذا عبدك ، خرج مهاجراً فقتل شهيداً ، أنا شهيد على ذلك» [1] .

---

[1] رواه النسائي (٤/٦٠) ١٩٤٦ الجنائز وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (١٨٤٥) .

مواقف عظيمة في
الشجاعة في الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم من الدين ،وهو المهم الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه ، وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ،وعمّت الفترة ، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة ،واستشرى الفساد ، وخربت البلاد ، وهلك العباد و لم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد .

وقد كان الذى خفنا أن يكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس هذا القطب علمه وعمله ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق ، وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس في اتباع الهوى ، والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافى هذه الفترة ، وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعلمها ، أو متقلداً لتنفيذها ، مجدداً لهذه السنة الدائرة ، ناهضاً بأعبائها ، ومشمراً في إحيائها ، كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، مستبدّاً بقربة تتضاءل درجات القرب دون

ذروتها (١) .

الحسن البصري رحمه الله والحجاج الثقفي :

دعا الحجاج فقهاء البصرة وفقهاء الكوفة ، وكان من بينهم الحسن البصري رحمه الله ، وكان آخر من دخل ، فقال الحجاج : مرحباً بأبي سعيد ، إليّ إليّ ، ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه ، فجعل الحجاج يذاكرهم ويسألهم ، ثم ذكر علي بن أبي طالب ﷺ ونال منه ، فوافقه الجالسون مقاربة له ، وفرقاً من شرّه ، والحسن ساكت عاضّ على إبهامه .

فقال الحجاج : يا أبا سعيد : ما لي أراك ساكتاً ؟ قال : ما عسيت أن أقول ؟ أخبرني برأيك في أبي تراب .

قال : سمعت الله جل ذكره يقول : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة] .

فعليٌ ممن هدى الله من أهل الإيمان فأقول : ابن عم النبي ﷺ وختنه

---

(١) إحياء علوم الدين /٢/٣٣٣ .

على ابنته وأحب الناس إليه، وصاحب سوابق مباركة ، سبقت له من الله، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ، ولا يحول بينه وبينها .

وأقول : إن كان لعليّ هنّات فالله حسبه ،والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا ، فبسر وجه الحجاج وتغير ، وقام عن السرير مغضباً ، فدخل بيتاً خلفه ، وخرج القوم .

قال عامر الشعبي ــ وكان جالساً معهم ــ فأخذت بيد الحسن فقلت : يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره ، فقال : إليك يا عامر ، يقول الناس : عامر الشعبي عالم الكوفة ، أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ، ويحك يا عامر ، هلا اتقيت الله إن سئلت فصدقت ، أو سكت فسلمت .

قال عامر : يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها ، قال الحسن : فذلك أعظم في الحجة عليك ، وأشد في التبعة [1] .

---

(1) (مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر /١٨٥، ١٨٦)فاروق السامرائي دار الوفاء ، المنصورة .

عبادة بن الصامت ﷺ :

عن عبيد بن رفاعة : أن عبادة بن الصامت مرّت عليه قطارة[1] وهو بالشام تحمل الخمر ، فقال : ماهذه ، أزيت ؟ قيل : لا ، بل خمر يباع لفلان ، فاخذ شفرة من السوق ، فقام إليها ، فلم يذر فيها راوية إلا بقرها ، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام ، فأرسل فلان إلى أبي هريرة .

فقال : ألا تمسك عنا أخاك عبادة ، أما بالغدوات فيغدو إلى السوق يفسد على أهل الذمة متاجرهم ، وأما بالعشى فيقعد في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا وعيبنا !

قال : فأتاه أبو هريرة ، فقال : ياعبادة مالك ولمعاوية ؟ ذره وما حمّل فقال لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع والطاعة ،والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وألا يأخذنا في الله لومة لائم .

فسكت أبو هريرة ، وكتب فلان إلى عثمان ، إن عبادة قد أفسد علّى الشام .[2]

ابن عمر ﷺ والحجاج :

عن القعقاع بن الصلت قال : خطب الحجاج ، فقال : إن ابن الزبير

---

[1] القطارة : أن تشد الإبل على نسق واحد .

[2] (سير أعلام ا لنبلاء /٢/٩ـــ ١٠) .

غيرّ كتاب الله ، فقال ابن عمر ؛ ما سلّطه الله على ذلك ، ولا أنت معه ، ولو شئت أقول : كذبت فعلت .

وروى شهر بن حوشب وغيره أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول الصلاة الصلاة مراراً ، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس ، فصلى الحجاج بالناس، فلما انصرف قال ابن عمر: ماحملك على ذلك ؟ فقال : إنما نجئ للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم تفتق[1] ما شئت بعد من تفتقه .

وقام ابن عمر إلى الحجاج وهو يخطب فقال : ياعدو الله ! استحلّ حرم الله ، وخرّب بيت الله ، فقال : ياشيخاً قد خرف .

فلما صدر الناس أمر الحجاج بعض مُسَوَّدته فأخذ حربة مسمومة وضرب بها رجْل بن عمر فمرض ومات ، ودخل عليه الحجاج عائداً ، فسلّم فلم يردّ عليه ، وكلمه فلم يجبه [2] .

صحابي يقتل من سبّت النبي ﷺ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه ، فينهاها فلا تنتهي ، يزجرها فلا تنزجر .

قال : فلما كانت ذات ليلة ، جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه فأخذ

---

[1] تفتق : تفتق فلان بالكلام : أنطق به لسانه .

[2] (البداية والنهاية /٩/ ١٢٧) .

المغْوَلْ ، فوضعه في بطنها ، واتكأ عليها فقتلها ، فوقع بين رجليها طفل ، فلطخت ما هناك بالدم ، فلما أصبح ذكر لرسول الله ﷺ فجمع النـــاس فقال : «أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام» فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال : يارسول الله أنا صاحبها ، كانت تشتمك وتقع فيك ، فأنهاها لا تنتهي وأزجرها فلا تنـــزجر ، ولى منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، وكانت بى رفيقة ، فلما كـــان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك ، فأخذت المغول فوضعته في بطنها ، واتكأت عليها حتى قتلتها،فقال النبي ﷺ:«ألا اشهدوا أن دمها هدر»[1].

---

[1] صحيح : أبو داود كتاب الحدود ، باب : الحكم فيمن سب الـــنبي ﷺ رقـــم (٤٣٦١) وصححه الألباني بالرقم السابق طبعة بيت الأفكار الدولية .

مواقف عظيمة في الشجاعة في الثبات على الحق

بلال بن أبي رباح ﷺ :

عن ابن مسعود ﷺ قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعمار ، وأمُّهُ سمّية ، وصهيب ، وبلال ،والمقداد رضي الله عنهم .

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً ، فإنه هان عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة ، وهو يقول : أحدٌ أحدٌ [1] .

وقصص الصحابة رضي الله عنهم في الثبات على الحق والبذل والتضحية كثيرة عظيمة ، مما يدل على قوة إيمانهم ، وعظيم شجاعتهم وتوكلهم على ربهم ﷻ .

---

[1] رواه الحاكم (٣/٢٨٤) وقال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، قال الذهبي : صحيح .

خباب بن الأرت ﷺ :

عن الشعبي قال : دخل خباب بن الأرت ﷺ على عمر بن الخطاب ﷺ فأجلسه على متكئه فقال : ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحداً .

قال له خباب : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلال .

فقال خباب : ما هو بأحق مني إن بلالاً كان له في المشركين من يمنعه الله به ، ولم يكن لي أحد يمنعني ، فلقد رأيتني يوماً أخذوني فأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها ، ثم وضع رجل رجله على صدري ، فما اتقيتُ الأرض ـــ أو قال : برد الأرض ـــ إلا بظهرى ، قال : ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برصَ [1] .

وعن خباب ﷺ قال أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة وهو فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : ألا تدعوا الله ؟ فقعد وهو محمرٌ وجهه ، فقال : « قد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله

---

[1] ابن سعد في الطبقات (٣/١١٧) .

والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون »[1] .

خبيب بن عدى ﷺ :

كان مع عاصم بن ثابت ﷺ في يوم الرجيع ، وهو الذي عذبه المشركون عذاباً شديداً ثم قالوا له : أتحب أن محمداً مكانك وأنك معافى في أهلك ومالك ، فقال : « والله ما أحب أنني معافى في أهلي ومالي ويشاك محمد ﷺ بشوكة » .

وفي ذلك قيل :

أسرتْ قريش مسلماً   فمضى بلا وجل إلى السيّاف
سألوه هل يُرضيك أنك سالمٌ   ولك النبيُّ فدَى من الإتلاف
فأجاب كلاّ لا سلمتُ من الرّدى   ويصاب أنف محمّد برعاف

وكان خبيب ﷺ هو الذي قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلما أسر في يوم الرجيع اشتراه بنو الحارث بن عامر ، فمكث عندهم أسيراً ، حتى إذا أجمعوا قتله استعار مُوسى من بعض بنات الحارث يستحد بها ، فأعارته .

قالت : فغفلت عن صبى لي فدرج إليه ، فأتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذاك مني ، وفي يده الموس ، فقال : أتخشين

---

[1] البخاري : كتاب الإكراه ، باب : من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر رقم (٦٩٤٣) .

أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ وكانت تقـول : ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذٍ ثمر ، وإنه لموثق في الحديد ، وما كان إلا رزقاً رزقه الله .

فخرجوا به من الحرم ليقتلوه ، فقال : دعوني أصلي ركعـتين ، ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أن ما بى جزع من المـوت لـزدت ، فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو .

ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ثم قال :

ما إن أبالى حين أقتـل مـسلماً ... على أى شق كان لله مـصرعى

وذلك في ذات الإله وإن يـشأ ... يُبارك على أصال شِلوٍ مُمـزّع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله .[1]

سعيد بن جبير والحجاج الثقفي لعنة الله على الظالمين :

كان سعيد بن جبير رحمه الله ممن خرج على الحجاج في فتنـة ابـن الأشعث وكان يقول : قاتلوهم على جورهم في الحكم ، وخروجهم من الدين ، وتجبرهم على عباد الله ، وإماتتهم الصلاة ، واستذلالهم المسلمين ، فلما انهزم أهل الدير لحق بمكة ، واختفى مدة طويلة من الحجاج الثقفي ، حتى ظفر به خالد بن عبدالله القسّرى ، أمير مكة ،وأرسل به إلى الحجاج

---

[1] البخاري : كتاب المغازى ، باب : غزوة الرجيع ورعل وذكوان رقم (٤٠٨٦) .

مع إسماعيل بن أوسط البجلي .

عن أبي صالح قال: دخلت على سعيد بن جبير حين جـيء بـه إلى الحجاج فبكى رجل فقال سعيد : ما يبكيك ؟ قال : لما أصابك ، قال : فلا تبك كان في علم الله أن يكون هذا ثم تـلا : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[الحديد:٢٢] .

وعن سالم بن أبي حفصة قال : لما أتى سعيد بن جبير الحجاج قال : أنت شقي بن كسير ، قال : أنا سعيد بن جبير . قال : لأقتلنك . قال : أنا إذاً كما سمتنى أمي .

قال : دعونى أصلى ركعتين، قال : وجهوه إلى قبلة النصارى ، قال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾[البقرة] قال: إني أستعيذ منك بما عاذت به مريم، قال : وما عاذت به مريم قال : قالت: ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾ [مريم] .

قال سليمان التيمى : كان الشعبي يرى التقية ، وكان ابن جـبير لا يرى التقية ، وكان الحجاج إذا أتى بالرجل ــ يعنى ممن قام عليه ــ قال له : أكفرت بخروجك عليّ ؟ فإن قال : نعم خلىّ سبيله .

فقال لسعيد : أكفرت ؟ قال : لا . قال : اختر أي قتلة أقتلك .

قال : اختر أنت فإن القصاص أمَامك [١] .

وعن داود بن أبي هند قال : لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال : ما أراني إلا مقتولاً ، وسأخبركم ، إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا الله حين وجدنا حلاوة الدعاء ، ثم سألنا الله الشهادة ، فكلا صاحبي رزقها ، وأنا أنتظرها .

قال : فكأنه رأى الإجابة عند حلاوة الدعاء .

قال الذهبي : ولما علم من فضل الشهادة ثبت للقتل ، ولم يكترث ، وإلا عامل عدوه بالتقية المباحة له رحمه الله تعالى [٢] .

قال الذهبى : ويروى أن الحجاج رؤى في النوم ، فقيل : مافعل الله بك ؟ فقال قتلني بكل قتيل قتلة ، وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة .

وروى أنه لما احتضر كان يغُوص ثم يفيق ، ويقول : مالي ومالك يا سعيد ابن جبير [٣] .

وقال ابن عيينة : لم يقتل بعد سعيد إلا رجلاً واحداً . [٤]

---

[١] (سير أعلام النبلاء /٤/٣٣٨) .

[٢] (سير أعلام النبلاء /٤/٣٤٠) .

[٣] (سير أعلام النبلاء /٤/٣٢٨) .

[٤] (سير أعلام النبلاء /٤/ ٣٢٨) .

شجاعة الخطيب

قال الشيخ عائض القرني حفظه ا لله تعالى :

تكمن شجاعة الخطيب في رباطة جأشه ، وسكون خاطره ، واطمئنان نفسه ، فهو يواجه الجموع وعليه السكينة ، واثقاً من نفسه ، مؤمناً بما يقول ، قديراً على ضبط الموقف .

الخطيب الشجاع يهدأ أحياناً في موقف الهدوء فيلطّف صوته ، وتخف نبرته ، ويزمجر في موقف الإثارة والقوة ، فيشد الحاضرين ، ويلهب القلوب بسياط وعظه ، ويصك صوته الآذان فتصل حرارة كلماته إلى سويداء القلوب .

إن أول الفشل هو جبن الخطيب وخوره ، فما أن يشعر بالضعف والانهزام إلا وترجف أعضاؤه ، ويتلعثم لسانه ، ويسيل عرقه ، حينها لا تسأل كم هو الإحراج الذي يعيشه سامعوه فضلاً عنه وهذا هو سقوط الخطيب صراحة .

كيف يؤثر في الجموع من يرهبها ؟ وكيف يستولى على قلوبها من يخجل منها ؟

إن قوة القلب في مواجهة الناس مدد عظيم يمنحه الله أهل القدرات والمواهب فيجدون في مخاطبة الجماهير سلوه وحياة ومتعة ، فكلما كثر

الجمع زاد أحدهم قوة وجاذبية وتوقداً ولموعاً .

أول الفشل الشعور بالفشل ، والإخفاق ابن بار للجبن ، والتفــوق تاج للمقدمين الشجعان . [1]اهـ

---

(١) (هكذا حدثنا الزمان /٣٩، ٤٠) دار المعرفة ، الدار البيضاء .



أين الشجاعة يا أمة الإسلام

إن لم يكن هذا العصر الذي نحياه هو عصر الشجاعة لأهل الحق وأصحاب طريق العدل فلا أدرى متى تكون الشجاعة ؟!

ديار الإسلام انتهكت ،ونساء المسلمين أُرملت ، وأعراض بناتنا قد استُحِلّت ، وفَجَرها أعداء الإسلام ، فأين الشجاعة في الذود عن ديار المسلمين يا أمة الإسلام ؟!

انتفش الباطل ، وذُل العالم العامل ،وارتفع الوضيع الجاهل ، وتَنَعّمَ البليد الخامل ، وساد المهين السافل فأين الشجاعة لإحقاق الحق يا أمة الإسلام ..؟!!.

خربت ديار ، وأُبيدتْ أمصار ، وصارت بلاقع ، فلا صادّ ولا دافع ولا مؤنس ولا شافع ، فأين الشجاعة يا أهل المعامع ، وأين من يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ولا يخشى في الله لومة لائم ؟!

خرست ألسنة ، ونُكّست ألوية وأَسِنّة ، وقد كنا ومازلنا خيُر أمّة فأين الشجاعة ، يا أهل المدلهِمّة ، وأين شدة البأس يا أهل الإسلام ؟!؟

انتكست المفاهيم ، وُقلِبَت الموازين ، وتمكن منا أعداء الدين ، وطاب العيش للمنافقين ، بل وتمكنوا من رقاب الموحدين ، صاروا في

الأرض من المفسدين ومع ذلك هم من الآمنين ، فكيــف ذلــك وهــم شياطين ، فأين أنتم أيها المرابطون ، الأمرون بالمعروف والنــاهون عــن المنكر ؟ أين أنتم يا أهل الشجاعة لإظهار الحق وإزهاق الباطل ؟ !

فاللهم ارحم غربتنا ،وانصر رايتنا ، ورافع أعلامنا ، وأعد لنا مجدنا ، وحقق لنا آمالنا ، واجعلنا من حزبك وجندك المفلحين ، الذين لا يخافون فيك لومة لائم اللهم أمين .

كيف نكتسب الشجاعة ؟!

المسلم الحريص على ما ينفعه ، والناظر لحال أمّته ، والمشفق على قومه ونفسه يستطيع بإذن الله اكتساب الشجاعة بما يلي :

١ـ أن ينظر إلى حال الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين فسيرى صور البذل والتضحية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر في أعلى مقاماتها مهما كانت التضحيات .

ولما يرى المسلم أن هذا الطريق نَاحَ فيه نوح ، وقتل فيه زكريا ويحي ، وألقى فيه إبراهيم عليه السلام في النار ، وأوذي موسى وعيسى وغيرهم وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ ، فكل هذا وغيره إذا ما تذكره المسلم اقتدى بهؤلاء الأنبياء عليهم السلام ، وسار سيرهم ،وجاهد جهادهم.

٢ـ أن يعلم أن الأمر كله بيد الله وحده ، فالنافع والضار هو الله تعالى .

٣ـ أن يعلم أن الآجال بيد الله تعالى ، وأن الأرزاق بيد الرزاق ، يعطى من يشاء ،ويمنع من يشاء ، فمن علم ذلك وأيقن به ، قاده هذا الاعتقاد إلى الله مهما كان الطريق محفوفاً بالمخاطر والأهوال وسيعلم أن الوظائف لا يستطيع قطعها إلا الله ، وأن الأنفس لا يقدر على قبضها إلا الله وأن الأبناء هم وديعة لله تعالى ، فلم الجبن ؟ ولم الخوف ؟ ولم الجزع ؟!

٤ـ أن ينظر إلى سير السلف الصالح فسيراها حدائق غناء ، وشموساً

ساطعة ، ودفاتر ماتعة، سيسمع المقولة الخالدة لأبي بكر ﷺ «احرص على الموت تُوهب لك الحياة » وسيشم عطر الجنة وريحها في جسد أنس بن النضر، وسيلمس طوق الشجاعة في عنق خباب بن الأرت .

فرضي الله عن مصعب ،وحمزة ، والزبير وابنه عبدالله ، وأسد الله وسيفه خالد بن الوليد وغيرهم رضي الله عنهم وجمّلنا بأخلاقهم .

٥ــ أن يسأل الله العبد ربه أن يمنحه هذا الخلق، فالدعاء سلاح لا يهزم .

٦ــ المجاهدة والمصابرة ، وعدم اليأس ، وشدة البأس .

٧ــ النظر لحال الأمة وما هي فيه من تشرذم وضياع ، وغير ذلك من الأسباب .

٨ ــ الإيمان الكامل بالله تبارك وتعالى ، إذ أن صدق الإيمان بالله ينمي الشجاعة في نفس المسلم لأنه سيعلم عند ذلك أن المؤمن لا يكون جباناً لأن إيمانه يجمع عليه قلبه ، ويُحقّر أعدائه أمامه ،ويراهم أضعف من أن يؤذوا أحداً إلا بإذن الله .

٩ ــ صحة التوكل على الله تبارك وتعالى ، إذ إن من يركن إلى غيره فقد باء بالخسران المبين ، لأن الله سيكله إلى ما توكل عليه أما من توكل على الله فهو يعلم أنه قد لجأ إلى ركن ركين وحصن حصين ، فما خاب من توكل عليه ، عندئذ سيبادر المسلم بما يجب عليه تجاه دينه

وربه مهما كلفه ذلك ، لأن الله وكيله ، وكفى بالله وكيلاً .

١٠ــ الإيمان بالقضاء والقدر ، وعِلْم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

١١ــ الإكثار من ذكر الله والثناء عليه ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنفال].

الترغيب في الجود والكرم من الكتاب والسنة ، وصور من جود النبي ﷺ وصحابته الكرام والسلف الصالح وفوائد الجود والكرم وحقيقة الإيثار وأقسامه



تمهيد

المسلم الحق المستنير بتعاليم دينه ، القائم بتطبيقها على نفسه في صدق وإخلاص كريم جواد ، يداه مبسوطتان تَهْميان بالخير الثر على أبناء مجتمعه في شتى المناسبات والأحوال .

إن المسلم الصادق لينفق ماله لأنه يعلم أن الكرم من أفضل خلائق الإسلام ومن أحسن شمائل المسلم الاجتماعية .

على أن الكرم ما ينبغي أن يجمح بالمسلم إلى حد التفريط والإطاحة بالمال كله ، بحيث لا يبقى منه شيء لورثته .

فالأمور في الإسلام متوازنة متكاملة لا يجور بعضها على بعض فكما أن البذل في وجوه الخير واجب أو فريضة ، كذلك حفظ الذرية وصون كرامتهم من الابتذال والتكفف فريضة أو واجب .

إن من أغنياء اليوم مَنْ يملك من الملايين والمليارات ما لو أدى زكاتها فحسب لمسح الفقر من مجتمعه مسحاً، بله الإنفاق السخي من حرّ ماله ، ولكن أيدي هؤلاء الأغنياء تنقبض حتى عن دفع الزكاة ، وإنهم ليعلمون أنها فريضة وركن من أركان الإسلام .

إن هؤلاء الذين ينثرون على الفقراء المسحوقين دراهم معدودة ذراً للرماد في العيون ، وتظاهراً بالطاعة لله والبذل في سبيله ، لا يخفى أمرهم

على رب العالمين ولن يفلتوا من عقابه [١] .

ترى الواحد إذا حدثته نفسه بعمل برّ زفّت أمامه البشائر ودقت حوله الطبول ،ويأبى إلا أن يقرن اسمه بألقاب التعظيم والتبجيل وينعت بنعوت الإحسان والبر ما ينوء بها عمله، ولا يقوى على حملها ما اعتزمه ، حتى إذا أتى وقت العمل، وإبراز مانواه إلى عالم الظهور ، خارت تلك العزيمة، وتضاءلت هذه الهمة ، ونسى ما كان منه في سالف الزمان حتى يصير في خبر كان .

لذا محقت البركة من الأموال ، وسلطت عليها الأرزاء ،والأدواء ، وصارت منبع آلام وشقاء ، بدل أن تكون سبيل سعادة وهناءة [٢] .

فالجود والكرم وإنفاق الأموال في سبيل الله تعالى لا غير سبب النماء والزيادة والبركة في الأموال ، وسبب السعادة والهناءة والبعد عن درك الشقاء .

أهل الجود والكرم ،هم أهل الحب والمودة والرفق واللين ، وهم كذلك من أصحاب الشفقة والرحمة وشفافية الروح ونقاء النفس من

---

[١] (شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة /٢٧٢ــ٢٧٧) باختصار ، د/ محمد على الهاشمي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت .

[٢] (الأدب النبوي /٢٨٧) محمد عبدالعزيز الخولي ، دار المعرفة ، بيروت .

أدران الحرص والنهم والأثرة القاتلة .

فعلى كل مَنْ مَنَّ الله عليه بالمال والجاه والسؤدد أن يسعى في مصالح إخوانه ، فيفرج عن المكروب ، ويغيث الملهوف ، ويعين علـــى نوائـــب الحق ، فمن فرّج عن مسلم كُرْبَة من كُرَبِ الدنيا فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه وخـــير النـــاس أنفعهم للناس ،والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه واليد العليا خير من اليد السفلى ، والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله مـــن المـــؤمن الضعيف ، وفى كلٍ خير .

تعريف الجود والكرم

الجود لغة :

صفة تحمل صاحبها على بذل ما ينبغي من الخير لغير عـوض ، وفي المثل : « إن الجواد قد يعثر » يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل ثم يكون منه الزلّة .

الكرم لغة :

يقال رجل كريم و«كرّم السحاب» جاد بمطره و«الكريم» من صفات الله تعالى وأسمائه وهو الكثير الخير والجواد المعطى الذي لا ينفد عطاؤه ، و«المكرُمة» فعل الخير ، وأرض مَكرُمة : كريمة طيبة جيدة النبات .[1]

الجود والكرم شرعاً :

هو الإنفاق والتصدق وإخراج ما في اليد من مال وغيره ،وبذل المجهود في ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وكذلك بذل العلم والشفاعة ومكارم الأخلاق جميعها من الجود والكرم .

---

[1] (مختار الصحاح) مادة : كرم ، جود (المعجم الوسيط) مادة كرم وجود .

الترغيب في الجود والكرم
من كتاب الله تعالى

١ــ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[البقرة].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى :

من فوائد الآية : الثناء على الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله سواء كان ليلاً أو نهاراً أو سراً أو جهاراً .

* كثرة ثوابهم ، لأنه سبحانه وتعالى أضاف أجرهم إلى نفسه فقال تعالى : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾والثواب عند العظيم يكون عظيماً .

ومنها : أن الإنفاق يكون سبباً لشرح الصدر ، وطرد الهم والغم لقوله تعالى : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذا أمر مجرّب مشاهد أن الإنسان إذا أنفق يبتغي بها وجه الله انشرح صدره ، وسُرّت نفسه ، واطمأن قلبه ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد أن ذلك من أسباب انشراح الصدر .

ومنها : كرم الله ﷻ حيث جعل هذا الثواب الذي سببه منه وإليه أجراً لفاعله ، كالأجير إذا استأجرته فإن أجره ثابت لازم .

ومنها : كمال الأمن لمن أنفق في سبيل الله ، وذلك لانتفاء الخوف والحزن عنهم . [١] اهـ

٢ـ قال تعالى : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٧١] .

قال ابن القيم رحمه الله :

أخبر سبحانه عن أحوال المتصدقين لوجهه في صدقاتهم ، وأنه يثيبهم عليها إن أبدوها أو كتموها بعد أن تكون خالصة لوجهه ، فقال : ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ أي فنعم شيء هي ، وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية ، فلا يتوهم مبديها بطلان أثره وثوابه ، فيمنعه ذلك من إخراجها، وينتظر بها الإخفاء ، فتفوت أو تعترضه الموانع، ويحال بينه وبين قلبه ، أو بينه وبين إخراجها ، فلا يؤخر صدقته العلانية بعد حضور وقتها إلى وقت السر وهذه كانت حال الصحابة .

وتأمّل تقييده ـ تعالى ـ الإخفاء بإيتاء الفقراء خاصة ، ولم يقل : وإن تخفوها فهو خير لكم ، فإن من الصدقة ما لم يمكن إخفاؤها كتجهيز جيش وبناء قنطرة ، وإجراء نهر أو غير ذلك .

---

[١] (تفسير القرآن الكريم «سورة البقرة» /٣/٣٣٧) دار ابن الجوزي ، الدمام .

وأما إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد :

الستر عليه ، وعدم تخجيله بين الناس ، وإقامته مقام الفضيحة ، وأن يرى الناس أن يده هي السفلى ،وأنه لا شيء له فيزهـدون في معاملتـه ومعارضته ، وهذا قدر زائد عن الإحسان إليه بمجرد الصدقة ، مع تضمنه الإخلاص ، وعدم المراءاة وطلب المحمدة من الناس ، وكـان إخفاؤهـا للفقير خيراً من إظهارها بين الناس .

ومن هذا مدح النبي ﷺ صدقة السّر وأثنى على فاعلها ، وأخبر أنـه أحد السبعة الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة ، ولهـذا جعلـه سبحانه خيراً للمنفق ، وأخبر أنه يكفر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته ،ولا يخفى عليه سبحانه أعمالكم و لا نياتكم ، فإنه بما تعملون خبير .

ثم أخبر أن هذا الإنفاق إنما نفعه لأنفسهم ، يعود عليهم أحوج مـا كانوا إليه ، فكيف يبخل أحدكم عن نفسه بما نفعه مختص بها عائد إليها وإن نفقة المؤمنين إنما تكون ابتغاء وجهه خالصاً، لأنها صادرة عن إيمانهم ، وإن نفقتهم ترجع إليهم وافية كاملة ، ولا الـذي يوفـق مـن يـشاء لمرضاته . [1]اهـ

---

[1] (بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم /٤٣٢/١) جمعه يسرى محمـد السـيد دار ابـن الجوزى، الدمام .

٣ـ قال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المنافقون] .

قال السعدي رحمه الله :

﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ يدخل في هذا ، النفقات الواجبة من الزكاة والكفارات ونفقة الزوجات ،والمماليك ، ونحو ذلك ، والنفقات المستحبة كبذل المال في جميع المصالح ، وقال : ﴿ مِّمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ ليدل ذلك على أنه تعالى ، لم يكلف العباد من النفقة ما يعنتهم ويشق عليهم ، بل أمرهم بإخراج جزء مما رزقهم الله الذي يسره ويسر لهم أسبابه .

فليشكروا الذي أعطاهم بمواساة إخوانهم المحتاجين ، وليبادروا بذلك الموت الذي إذا جاء لم يمكن العبد أن يأتي بمثقال ذرة من الخير .

ولهذا قال : ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ ﴾ متحسراً على ما فرّط في وقت الإمكان ، سائلاً الرجعة التي هي محال : ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ أي : لأتدارك ما فرّطت فيه ﴿فَأَصَّدَّقَ ﴾ من مالي ، ما به أنجو من العذاب وأستحق به جزيل الثواب ﴿وَأَكُن مِّنَ

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بأداء المأمورات كلها ، واجتناب المنهيات ، ويدخل في هذا الحج وغيره،وهذا السؤال والتمني، قد فات وقته، ولا يمكن تداركه. اهـ

٤ـ قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة] .

قال السعدي رحمه الله :

هذا بيان للمضاعفة التي ذكرها الله في قوله ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ ﴾ .

وهنا قال : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي : في طاعته ومرضاته ، وأولاها إنفاقها في الجهاد في سبيله ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ﴾ .

وهذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل ، الذي كان العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته ، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان ، فتنقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها مؤملة لهذه المضاعفة

الجزيلة والمنة الجليلة ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ ﴾ هذه المضاعفة ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ .

أي : بحسب حال المنفق وإخلاصه وصدقه وبحسب حال النفقة وحلها ونفعها ووقوعها وموقعها ، ويحتمل أن يكون ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ ﴾ أكثر من هذه المضاعفة ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فيعطيهم أجرهم بغير حساب ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ الفضل ،واسع العطاء ، لا ينقصه نائل ، ولا يحفيه سائل ، فلا يتوهم المنفق أن تلك المضاعفة فيها نوع مبالغة ، لأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء ولا ينقصه العطاء على كثرته ، ومع هذا فهو ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق هذه المضاعفة ومن لا يستحقها ، فيضع المضاعفة في موضعها لكمال علمه وحكمته . اهـ

الترغيب في الجود والكرم
من السنّة المطهرة

الصدقة يربيها الله لصاحبها :

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « من تصدّق بَعدْل تمرة من كسب طيّب — ولا يقبل الله إلا الطيب — فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلُوّهَ ، حتى تكون مثل الجبل » [1]
المسلم الحق كريم مهما كان فقيراً ،ومهما كان عطاؤه قليلاً ، فحسب الإسلام منه أن تنبعث في نفسه عاطفة الرحمة بمن هو أفقر منه ، ويحسّ ما يعانيه غيره من ألم وحرمان .

ومن أجل ذلك جاءت النصوص تحض الفقراء على الإنفاق القليل حسب استطاعتهم لتبقى نفوسهم ريّاً بنداوة المشاركة الوجدانية لإخوانهم ووعد الله المنفقين على إقلالهم وعسرهم بتثمير صدقتهم وتنميتها حتى تصبح كالطود الشامخ ، شريطة أن تكون من كسب حلال .

ولكيلا تنغلق النفوس ، وتحتجب عن المشاركة الوجدانية في المجتمع ، وليكلا تجف ينابيع الخير والرحمة والتعاطف فيها ، ودعاها الرسول الكريم

---

[1] البخاري : كتاب الزكاة ، باب : الصدقة من كسب طيب رقم (١٤١٠) (فتح /٣/٣٥٤).

إلى الإنفاق اليسير مهما كانت مقلّة معسرة ، وحذرها من السلبية والانغلاق والإمساك ، لأن في ذلك مهلكة وبواراً وعذاباً [١] ، قال ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » [٢] .

اللهم أعط منفقاً خلفاً :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » [٣] .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى :

قال العلماء : هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق ،وعلى العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك ، بحيث لايذم ولا يسمى سرفاً والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا . اهـ [٤]

---

[١] (شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة /٢٨٠) محمد على الهاشمي.

[٢] البخارى كتاب الزكاة ، باب : اتقوا النار ولو بشق تمرة ..رقم (١٤١٧) (فتح /٣/٣٦١)..

[٣] البخاري : كتاب الزكاة ، باب : قول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ رقم (١٤٤٢)

[٤] (شرح النووى على صحيح مسلم /٧/٩٧) .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

قال القرطبي : وهو يعم الواجبات والمندوبات ، لكن الممسك عـن المندوبات لا يستحق هذا الدعاء ، إلا أن يغلب عليه البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه بإخراج الحق الذي عليه ، ولو أخرجه ، وقـد تقـدمت الإشارة إلى ذلك في قوله في حديث أبي موسى : « طيبة بها نفسه» والله أعلم [١] اهـ .

وسل المنفق في سبيل الله عن معنى هذا الحديث ، فسيؤكد لك أنـه حق على حقيقته بل وسيسرد لك قصصاً كثيرة تبرهن بجلاء أنه كلمـا أنفق في سبيل الله جاءته الأرزاق من حيـث ليـدرى ولا يحتـسب ، والشواهد على ذلك في القرآن والسنة وواقع الناس قديماً وحديثاً كـثيرة جداً .

إن الله جواد يحب الجود :

عن طلحة بن عبيدالله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى جواد يحب الجود ، ويحب معالي الأخلاق ، ويكره سفسافها » [٢] يقف المؤمن مشدوداً أمام عطاء الكريم وجوده وإحسانه ، فهي عطاءات ونعم

---

[١] (فتح الباري /٣/٣٨٩) .

[٢] صحيح : صحيح الجامع رقم (١٧٤٤) والصحيحة رقم (١٦٢٧) .

لا تُعد ولا تحصى تسبغ حياته ، وتملأ وجوده وكيانه ولا يملك المرء إلا أن يلهج لسانه بشكر هذه النعم .

وجود الله ﷻ وإنعامه وإحسانه على الإنسان بالأموال والأرزاق تستوجب شكر هذه النعم بالبذل والإنفاق منها .

ومع أن البذل والإنفاق شكر من الإنسان للكريم الجواد إلا أن الله ﷻ رتب أجراً للإنسان على هذا البذل وذلك من كرمه وجوده وإحسانه، فهو يقابل الشكر بالشكر والمزيد [١] .

فضل الساعي على الأرملة والمسكين :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « السَّاعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » [٢] .

المجاهد في سبيل الله الذي يخدم دينه بنفسه وماله ، أو جاهه وسلطانه أو علمه وفنه ، وليس له جزاء إلا الجنة إلى الذكرى الطيبة في الحياة الدنيا والمكانة العالية في النفوس .

وكذلك الجزاء للساعي على الأرملة والمسكين ، فيكد ويتعب ، ويجاهد وينصب ، ليكفى تلك الأرملة حاجاتها ، بعد أن فقدت بعلها ،

---

[١] (المنهاج الأسمى شرح أسماء الله الحسنى /٢/٤٣٣ـ ٤٣٤) د/زين محمد شحاته .

[٢] البخاري : كتاب الأدب ، باب : الساعي على المساكين رقم (٦٠٠٧) .

الذي كان يرعاها وينفق عليها ، فهو بذلك يخفف عنها من ألم المصيبة ، ويسليها على الفجيعة ، ويكف يدها عن المد ، ويصون وجههـــا عـــن العرض .

وكذلك يصنع للمسلم الذي فقد المال ، وعجز عن الكـــسب ، أو قدر ولكن لم يجد العمل .

فهو يجمع المال بعرق جبينه ، لا ليمتع نفسه أو ولده ، أو لينفقه في البذخ واللذة ، ولكن ليسد به جوعة المسكين ، ويغنيه عن الاســـتجداء فيحفظ على وجهه ماء الحياء ،وعلى نفسه خلق العفاف ، فكان خليقـــاً بمرتبة المجاهدين ، ومنـــزلة المقربين ، فاخدم بمالـــك ووقتـــك وقوتـــك وسعيك ذوى الحاجات ،وأرباب العاهات تنل المنـــزلة العاليـــة والجنـــة الخالدة [1] .

أفضل الصدقات :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رجل للـــنبي ﷺ : يارســـول الله ، أي الصدقة أفضل ؟ قال : « أن تصدّق وأنت صـــحيح ، حـــريص » وفي رواية : «شحيح ، تأمل الغنى ، وتخشى الفقر ، ولا تُمهل حتى إذا بلغت

---

[1] (الأدب النبوي /١١٧) محمد عبدالعزيز الخولي ، دار الكتب العلمية .

الحلقوم» قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا ،وقد كان لفلان .[١]

كان أصحاب الرسول ﷺ يتحرون أفضل أنواع الطاعات وأعظمها عند الله أجراً ، ولا يأبون أن يسألوا الرسول عنها ليتقربوا بها إلى الله ، وينالوا الدرجات العلا .

فسأله أحدهم عن أكثر الصدقات أجراً ، فقال له عليه الصلاة والسلام : أن تتصدّق وأنت صحيح الجسم معافى في بدنك لم ينقطع أملك من الحياة ، ولم تقف بك القدم على حافة القبر ، إذ المرض يقصر يد المالك عن ملكه وسخاوته بالمال إذ ذاك لا تمحو عنه سمة البخل ولا تدل على طيب نفسه بالعطاء لأنه يكون قد ملّ الحياة ،وسئم العيش ، ورأى ماله قد صار لغيره بخلاف ما إذا كان صحيحاً يكون للمال مكان في قلبه وحب من نفسه ، لما يأمل من البقاء ويخشى من الفقر فالشح به غالب والسماح به حينئذ أصدق في الإخلاص وأعظم في المثوبة .

وكذا إذا تصدق وهو حريص على جمع المال قد توافرت لديه أسباب ادخاره كان ذلك دالاً على الرغبة في الخير وابتغاء ما عند الله .

ولا يتأخر بالتصدق حتى يكون الموت منه قاب قوسين لأنه يكون مغلولا عن التصرف في كل ماله إذ أن المريض لا يجوز له أن يتبرع إلا

---

[١] البخاري : كتاب الزكاة ، باب فضل صدقة الشحيح الصحيح رقم (١٤١٩)

بثلث ماله فقط ، وما زاد على ذلك يكون من حق الورثـة إن شـاءوا أجازوا تصرفه وإن شاءوا لم يجيزوه .

ويدلّ الحديث على أن تنجيز وفاء الدّين والصدقة في حال الصحة أفضل منه في حال المرض لأنه في الأولى يصعب عليه إخراج المال غالباً لما يخوفه الشيطان من الفقر ، ويزين له من إمكان طول العمر والحاجة إلى المال كما قال تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ [البقرة : ٢٦٨][1] .

اسق حديقة فلان :

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السّحاب ، فأفرغ ماءه في حَرّة ، فإذا شرْجة من تلك الشرّاج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يُحوِّل الماء بمسحاته فقال له : ياعبدالله ! ما اسمك ؟ قال : فلان . للاسم الذي سمع في السحابة .

فقال له : ياعبدالله ! لم تسألني عن اسمي ؟ فقال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع فيها ؟

قال : أمّا إذ قلت هذا ، فإني أنظر إلى مايخرج منها ، فأتصدق بثلثه

---

(1) الأدب النبوي (٢٨٨، ٢٢٩) .

وآكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأردّ فيها ثلثه »[1] .

وفي رواية أخرى لمسلم أيضاً :

وأجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل .

---

[1] مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، باب : الصدقة في المساكين رقم (٧٣٩٨) (٧٣٩٩) (نووي/١٨/٣١٥) .

مراتب الجود *

الجود عشر مراتب :

أحدها : الجود بالنفس ،وهو أعلى مراتبه ، كما قال الشاعر :

يجود بالنفس إذ ضنّ البخيل بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

الثانية : الجود بالرياسة وهو ثانى مراتب الجود ، فيحمل الجواد جوده على امتهان رياسته ، والجود بها ، والإيثار في قضاء حاجات الملتمس .

الثالثة : الجود براحته ورفاهيته ،وإجمام نفسه ، فيجود بها تعباً وكداً في مصلحة غيره ، ومن هذا جود الإنسان بنومه ولذته لمسامِرِه .

كما قيل :

متيّمٌ بالنّـــدى لو قـــال سائلـــه

هب لى جميع كرى عينيك لم يَنَمِ

الرابعة : الجود بالعلم وبذله ، وهو من أعلى مراتب الجود ،والجود بـــه أفضل من الجود بالمال ، لأن العلم أشرف من المال .

---

* (مدارج السالكين ٣/٤٧ــ ٥٣) لابن القيم تحقيق : عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل دار طيبة ، الرياض .

والناس في الجود به مراتب متفاوتة ، وقد اقتضت حكمة الله وتقديره النافذ أن لا ينفع به بخيلاً أبداً .

ومن الجود به أن تبذله لمن يسألك عنه ، بل تطرحه عليه طرحاً .

ومن الجود بالعلم أ ن السائل إذا سألك عن مسألة استقصيت له جوابها جواباً شافياً ، لا يكون جوابك له بقدر ماتدفع به الضرورة ، كما كان بعضهم يكتب في جواب الفتيا «نعم» أو «لا» مقتصراً عليها .

ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية ــ قدس الله روحه ــ في ذلك أمراً عجيباً :

كان إذا سئل عن مسألة حكمية ، ذكر في جوابها مذاهب الأئمة الأربعة ، إذا قدر ، ومأخذ الخلاف ، وترجيح القول الراجح ، وذكر متعلقات المسألة التي ربما تكون أنفع للسائل من مسألته فيكون فرحه بتلك المتعلقات التي ربما تكون أنفع للسائل من مسألته فيكون فرحة المتعلقات واللوازم أعظم من فرحة بمسألته ،وهذه فتاويه ــ رحمه الله ــ بين الناس فمن أحب الوقوف عليها رأى ذلك .

فمن جود الإنسان بالعلم أنه لا يقتصر على مسألة السائل ، بل يذكر له نظائرها ومتعلقاتها ومأخذها ، بحيث يشفيه ويكفيه .

وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ عن المتوضئ بماء البحر ؟

فقال : «هو الطهور ماؤه ، الحلُّ ميتته» [١] فأجابهم عن سؤالهم ، وجاد عليهم بما لعلهم في بعض الأحيان إليه أحوج مما سألوه عنه .

وكانوا إذا سألوه عن الحكم نبههم على علته وحكمته ، كما سألوه عن بيع الرطب بالتمر ؟

فقال : « أينقص الرطب إذا جف ؟ » قالوا : نعم ، قال : «فلا إذن » [٢] ولم يكن يخفى عليه ﷺ نقصان الرطب بجفافه ، ولكن نبههم على علة الحكم ، وهذا كثير جداً في أجوبته ﷺ .

الخامسة : الجود بالنفع بالجاه ، كالشفاعة والمشى مع الرجل إلى ذي سلطان ونحوه ، وذلك زكاة الجاه المطالب بها العبد ، كما أن التعليم وبَذل العلم زكاته .

السادسة : الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه .

كما قال ﷺ « يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة ،والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل

---

[١] صحيح : رواه أبو داود : كتاب الطهارة ، باب : الوضوء بماء البحر ، رقم (٨٣) وصححه الألباني بالرقم السابق طبعة بيت الأفكار الدولية .

[٢] صحيح : رواه أبوداود : كتاب البيوع ، باب : في التمر بالتمر ، رقم (٣٣٥٩) وصححه الألباني بالرقم السابق طبعة بيت الأفكار الدولية .

خطوة يمشيها الرجل إلى الصلاة صدقة ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة » [(١)] .

السابعة : الجود بالعرض ، وفي هذا الجود من سلامة الصدر ، وراحة القلب ، والتخلص من معاداة الخلق ما فيه .

الثامنة : الجود بالصبر والاحتمال ، والإغضاء ،وهذه مرتبة شريفة من مراتبه ، وهى أنفع لصاحبها من الجود بالمال ، وأعز له وأنصر ، وأملك لنفسه ، وأشرف لها ، ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار .

فمن صعب عليه الجود بماله فعليه بهذا الجود ، فإنه يجتنى ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة ،وهذا جود الفتوة .

قال تعالى : ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ ﴾[المائدة : ٤٥]وهذا الجود قال تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[الشورى] .

فذكر المقامات الثلاثة في هذه الآية : مقام العدل وأذن فيه ، ومقام الفضل وندب إليه ،ومقام الظلم وحرمه .

---

(١) مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه رقم (٧٢٠) .

التاسعة : الجود بالخُلق والبشر والبسطة ، وهو فوق الجود بالصبر ، والاحتمال والعفو ،وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم وهو أثقل ما يوضع في الميزان .

قال النبي ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخــاك ووجهك منبسط إليه » [1] .

وفي هذا الجود من المنافع والمسار ، وأنواع المصالح ما فيه ،والعبد لا يمكنه أن يسع الناس بماله ويمكنه أن يسعهم بخلقه واحتماله .

العاشرة : الجود بتركه ما في أيدي الناس عليهم فلا يلتفت إليه ولا يستشرف له بقلبه ، ولا يتعرض له بحاله ، ولا لسانه ، وهذا الذي قــال عبدالله بن المبارك « إنه أفضل من سخاء النفس البذل» .

فلسان حال القدر يقول للفقير الجواد : وإن لم أُعطك ما تجود بــه على الناس ، فجُد عليهم بزهدك في أموالهم ،وما في أيــديهم ، تُفْــضِل عليهم ، وتزاحمهم في الجود ،وتنفرد عنهم بالراحة .

ولكل مرتبة من مراتب الجود مزيد وتأثير خاص في القلب والحال ، والله سبحانه قد ضمن المزيد للجواد، والإتلاف للممسك، والله المستعان.

---

[1] مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب : استحباب طلاقة الوجه عنــد اللقــاء رقــم (٢٦٢٦) ترقيم عبدالباقي .

محمد ﷺ جواداً كريماً

فهو ﷺ أكرم من خلق الله ، وأجود البرية نفساً ويداً ، فكفّه غمامة بالخير ،ويده غيث بالجود ، بل هو أسرع بالخير من الريح المرسلة ، لا يعرف «لا» إلا في التشهد :

ما قال «لا» قطّ إلا في تشهّده

لولا التشهد كانت لاؤه نعمُ

يعطى عليه الصلاة والسلام عطاء من لا يخشى الفقر ، لأنه بعث بمكارم الأخلاق ، فهو سيد الأجواد على الإطلاق ، أعطى غنماً بين جبلين وأعطى كل رئيس قبيلة من العرب مائة ناقة ، وسأله سائل ثوبه الذي يلبسه فخلعه وأعطاه ،وكان لا يردّ طالب حاجة ، قد وسع الناس برُّه ، طعامه مبذول ، وكفه مدرار ، وصدره واسع ، وخُلقه سهل ، ووجهه بسام .

تراه إذا جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ينفق مع العدم ، ويعطى مع الفقر، يجمع الغنائم ثم يوزعها في ساعة، ولا يأخذ منها شيئاً .

مائدته ﷺ معروضة لكل قادم ،وبيته قبلة لكل وافد ، يضيف وينفق ويعطى الجائع بأكله ، ويؤثر المحتاج بذات يده ،ويصل القريب بما يملك ،

ويواسي المحتاج بما عنده ، ويقدم الغريب على نفسه .

فكان ﷺ آية في الجود والكرم ، حتى لا يقارن به أجــواد العــرب كحاتم وهرم وابن جدعان ، لأنه يعطي عطاء من لا يطلب الخلف إلا من الله ، ويجود جود من هانت عليه نفسه وماله وكل ما يملك في سبيل ربه ومولاه ، فهو أندى العالمين كفّاً وأسخاهم يداً ، وأكرمهم محتداً ، قــد غمر أصحابه وأحبابه وأتباعه ، بل حتى أعداءه ببرّه وإحــسانه وجــوده وكرمه وتفضله ، أكل اليهود على مائدته ، وجلس الأعراب على طعامه، وحفّ المنافقون بسفرته .

جاءته الكنوز من الذهب والفضة فأنفقها في مجلس واحد ولم يدَّخر منها درهماً ولا ديناراً ولا قطعة ، فكان أسعد بالعطية يعطيها من السائل وكان يأمر بالإنفاق والكرم والبذل ، ويدعو للجود والسخاء ويذمّ البخل والإمساك [1] .

(محمد ﷺ كأنك تراه /٣٣ــ ٣٥) د/ عائض القرني . دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .



دُرَر نبوية تَحضُّ على الجود والكرم وصنائع المعروف

قال رسول الله ﷺ * :

* أحب الناس إلى الله أنفعهم ،وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربه ، أو تقضى عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشى مع أخي المسلم في حاجة أحبُّ إليّ من أن أعتكف في المسجد شهراً ، ومن كفّ غضبه ستر الله عورته ،ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضىً يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له ، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام ، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل .

* أفضل الصدقة سقيُ الماء :

* بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها ، فشرب منها ، ثم خرج ، فإذا هو بكلب يلهث بأكل الثرى من العطش .

---

* جميع ما ورد من الأحاديث من صحيح الجامع ، ولقد تركت الإحالات رغبة في الإختصار، وللوصول للمعنى بأقرب طريق .

فقال : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي ، فنـزل البئر ، فملأ خفه ماءً ، ثم أمسك بفيه ، ثم رقى ، فسقى الكلب فشكر الله ، فغفر له ، في كل ذات كبد رطبة أجر .

* صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة .

* على كل نفس في كل يوم طلعت عليه الشمس صدقة منه على نفسه، من أبواب الصدقة التكبير ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، وأستغفر الله .

ويأمر بالمعروف ،وينهى عن المنكر ،ويعزل الشوك عن طريق الناس ، والعظم والحجر ، وتهدى الأعمى ،وتُسمع الأصمّ والأبكم ، حتى يفقه ، وتدلُّ المستدلّ على حاجة له قد علمت مكانها ،وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث ، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف ، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك .

ولك في جماعك زوجتك أجر ، أرأيت لو كان لك ولد فأدرك [1] ورجوت أجره فمات أكنت تحتسب به ؟ فأنت خلقته ، فأنت هديته ، فأنت كنت ترزقه ؟

---

[1] أي : بلغ الحُلُم .

فكذلك فضعه في حلاله ،وجنبه حرامه ؛ فإن شاء الله أحياه ،وإن شاء أماته ولك أجر .

* إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

* لا خير فيمن لا يُضيف .

* إن الله كريم يحب الكرماء، وجواد يحب الجودة ، يحب معالى الأخلاق ، ويكره سِفسافَها .

* اشفعوا تؤجروا .

* ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن يُنقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا خذله الله تعالى في موطن يُحب فيه نصرته وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله في موطن يُحب فيه نصرته .

مثل المؤمنين في توادّهم ،وتراحمهم ،وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

* إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جعلوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم .

هديه ﷺ في الجود والكرم والإيثار *

كان ﷺ أعظم الناس صدقة بما ملكت يده ، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه الله تعالى ،ولا يستقله .

وكان لا يسأله أحد شيئاً عنده إلا أعطاه ، قليلاً كان أو كثيراً ، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه ، وكان أجود الناس بالخير ، يمينه كالريح المرسلة .

وكان إذا عرض له محتاج ، آثره على نفسه ، تارة بطعامه ،وتارة بلباسه ، وكان ينّوع في أصناف عطائه وصدقته ، فتارة بالهبة ،وتارة بالصدقة وتارة بالهدية ،وتارة بشراء الشئ ثم يعطى البائع الثمن والسلعة جميعاً ، كما فعل ببعير جابر .

وتارة كان يقترض الشيء ، فيرد أكثر منه ،وأفضل وأكبر ، ويشترى الشيء فيعطى أكثر من ثمنه ،ويقبل الهدية ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها ، تلطفاً وتنوعاً في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن .

---

* (زاد المعاد /٢/٢١، ٢٢) لابن القيم ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عبدالقادر الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣، ١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٢م .

وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه ،وبحاله ، وبقوله ، فيخرج ما عنده ، ويأمر بالصدقة ، ويحض عليها ، ويدعوا إليها بحاله وقوله ، فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء ،وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والنّدى .

وكان هديه ﷺ يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف ،ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدراً ، وأطيبهم نفساً ، وأنعمهم قلباً ، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجيباً في شرح الصدر .

وانضاف ذلك إلى ما خصّه الله به من شرح صدره بالنبوة والرسالة وخصائصها وتوابعها ، وشرح صدره حساً، وإخراج حظ الشيطان منه .



مع أبي بكر وعمر
رضي الله عنهما

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي .

فقلت : اليوم أسبق أبابكر إن سبقته يوماً ، فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » فقال : مثله .

قال : وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ : «ما أبقيت لأهلك ؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسابقك إلى شيء أبداً . [1]

فقد كان أبو بكر ﷺ أجود الصحابة الكرام، وأسبقهم إلى كل خير.

وكان عمر ﷺ يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق بلالاً .

أبو بكر حَبَــا في الله مالاً　　　وأعتق في مَحــبّته بلالاً

وقد واسى النبي بكل فضْلٍ　　　وأسرع في إجابته بِلا : لا

الصحابة رضي الله عنهم سبقوا إلى كل خير ، وتسابقوا إلى الخيرات

---

(١) صحيح رواه الترمذي ، كتاب ، المناقب ، باب ١٦ «بدون» رقم (٣٦٧٥) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، طبعة بيت الأفكار الدولية .

عملاً بقول الله ﷻ : ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] .

وبقوله ﷻ : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

ولذا اشتهر عند أصحاب المنهج السلفي إذا عرض لهم أمر و لم يفعله السلف رضي الله عنهم : لو كان خيراً لسبقونا إليه .

عثمان بن عفان ﷺ وإنفاقه في سبيل الله

عن ثمامة بن حزن القشيرى قال : شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال : ائتونى بصاحبيكم اللذين ألّباكم علّى ؟

قال : فجئ بهما كأنهما جملان أو كأنهما حماران ، قال : فأشرف عليهم عثمان فقال : أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ، فقال رسول الله ﷺ : «من يشترى بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة» فاشتريتها من صلب مالي ، فأنتم اليوم تمنعونى أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر . قالوا : اللهم نعم .

فقال : أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ : «من يشترى بقعة آل فلان ، فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة » فاشتريتها من صلب مالي ، وأنتم اليوم تمنعوني أن أصلى فيها ركعتين ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : أنشدكم بالله وبالإسلام هل تعلمون أنى جهزت جيش العسرة من مالي ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : أنشدكم بالله وبالإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان

على ثبير مكة ، ومعه أبو بكر وعمر وأنا ، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض ، قال : فركضه برجله فقال : «اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان » .

قالوا : اللهم نعم .

قال : الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة أنى شهيد ثلاثاً .[1]

وعن عبدالرحمن بن سَمُرة قال : جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة ، قال : فصبّها في حجر النبي ﷺ قال : فجعل النبي ﷺ يقلبها وهو يقول : « ما ضر ابن عفان ما عمل بعد ا ليوم » يردد ذلك مراراً[2] .

---

(١) حسن : رواه الترمذي : كتاب المناقب ، ١٨باب رقم (٣٧٠٣) قال الترمذي : هذا حديث حسن طبعة بيت الأفكار .

(٢) حسن : رواه الترمذي : كتاب المناقب ، ١٨ ، باب «بدون» ، رقم (٣٧٠١) قال الترمذي هذا حديث حسن ، طبعة بيت الأفكار الدولية .

ومن أعظم الجود والكرم الضيافة وإطعام الطعام

قال أبو حاتم رحمه الله [١] :

إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قـرى الضيف لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى ، ومن أعظم مراتـب ذوي الحجى ، ومن أحسن خصال أولي النهى .

ومن عرف بإطعام الطعام شَرُف عند الشاهد والغائـب ،وقـصده الراضي والعاتب ، وقرى الضيف يرفع المرء وإن رقّ نسبه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته ، ويشرّفه برفيع الذكر ، وكمال الذخر .

وكل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد ، وانقاد له قومه ، ورحل إليه القريب والقاصي ، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعـام الطعام ، وإكرام الضيف .

والعرب لم تكن تعدُّ الجود إلا قرى الضيف ،وإطعام الطعـام ، إلا السخي من لم يكن فيه ذلك ، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الميل والميلين .

---

(١) (روضة العقلاء ونـزهة الفضلاء /٢٥٨ـ ٢٦٢) باختصار .

فيجب على العاقل ابتغاء الأضياف ، وبذل الكسر ، لأنه نعمة الله إذا لم تُصن بالقيام في حقوقهم ترجع من حيث بدأت ، ثم لاينفع من زالت عنه التلهف عليها ، ولا الإفكار في الظفر بها ، وإذا أدى حق الله فيها استجلب النماء والزيادة ، واستذخر الأجر في القيامة ، واستقصر إطعام الطعام .

وعنصر قرى الضيف هو ترك استحقار القليل ،وتقديم ما حضر للأضياف ، لأن من حقّر منع ، مع إكرام الضيف بما قدر عليه ، وترك الإدخار عنه .

وأبخل البخلاء من بخل بإطعام الطعام ، كما أن من أجود الجود بذله ومن ضَنّ بما لا بد للجثة منه، ولا تربو النفس إلا عليه، كان بغيره أبخل ، وعليه أشح .

ومن إكرام الضيف طيب الكلام ، وطلاقة الوجه ، والخدمة بالنفس، فإنه لا يَذلُّ من خدم أضيافه ، كما لا يعزُّ من استخدمهم ، أو طلب لقراه أجراً .

وإني لطلق الوجه للمبتغي القرى ... وإن فنائي للقرى لرحيبُ

أضاحك ضيفي عند إنزال رحله ... فيخصبُ عندي والمحلُّ جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثُر القِرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

الجود والكرم عند السلف الصالح *

* أرسل عمر بن الخطاب إلى زينب بنت جحش بعطائها فقالـــت : غفر الله لعمر كان أقوى على قسم هذا ، قالوا : كله لـــك ، قالـــت : سبحان الله ، واستترت منه بثوب ، وقالت صبوه واطرحوا عليـــه ثوبـــاً وأخذت تفرقه في رحمها وأيتامها وأعطتني ما بقى فوجدناه خمسة وثمانين درهماً ، ثم رفعت يدها إلى السماء وقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا .

* قال ابن الزبير : ما رأيت امرأة قط أجود مـــن عائـــشة وأسمـــاء وجودهما مختلف ، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الـــشيء حـــتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه ،وأما أسماء فكانت لا تدخر شيئاً لغد .

* كان قيس بن سعد يستدين ويطعم ،فقال أبو بكـــر وعمـــر : إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه، فمشيا في الناس فقام سعد عند النبي ﷺ وقال : من يعذرني من ابن أبي قحافة وابن الخطاب يبخلان على ابـــني ، وقيـــل: وقفت على قيس عجوز فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان، قال :

---

* (سير أعلام النبلاء) للذهبي ، تحقيق : مجموعة علماء ، مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان .

ما أحسن هذه الكناية ، املؤا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً . [١٠٦/٣]

* بعث معاوية مرّة إلى عائشة بمئة ألف ، فوالله ما أمست حتى فرقتها [١٥٤/٣] .

* عن أصبغ بن زيد قال: إن كان أويس القرني يقول : هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح ، وكان إذا أمسى يقول : هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح ، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ، ثم قال : اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ومن مات عرياً فلا تؤاخذني به [٣٠/٤] .

* عن جميل بن مرة قال : كان مورق العجلي رحمه الله يجيئنا بالمال فيقول أمسكوا لنا هذه الصّرة،فإن احتجتم فأنفقوها فيكون آخر عهد بها.

* عن محمد بن إسحاق : كان أناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم ، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل [٣٩٤/٤] .

* قال شيبة بن نعامة : لما مات على بن الحسين وجدوه يعول مئة أهل بيت .

قال الذهبي : لهذا كان يُبخّل فإنه ينفق سراً ، ويظن أهله أنه يجمع الدراهم [٣٩٤/٤] .

* عن مالك قال : كان ابن شهاب الزهري من أسخى الناس ، فلما أصاب تلك الأموال ، قال له مولى له وهو يعظه : قد رأيت ما مّر عليك من الضيق ، فانظر كيف تكون ، أمسك عليك مالك ، قال : إن الكريم لا تحنكه التجارب [٥/٣٣٨] .

* أبو جعفر الترمذي : سمعت الربيع قال : كان بالشافعي هذه البواسير وكانت له لبدة محشوة بحلبة يجلس عليها ، فإذا ركب ، أخذت تلك اللبدة ومشيت خلفه ، فناوله إنسان رقعة يقول فيها : إني بقال ، رأس مالي درهم ، وقد تزوجت ، فأعني .

فقال ياربيع ، أعطه ثلاثين ديناراً واعذرني عنده ، فقلت أصلحك الله إن هذا يكفيه عشرة دراهم قال: ويحك ! وما يصنع بثلاثين ؟ أفي كذا ، أم في كذا يعد ما يصنع في جهازه ــ أعطه .

* ومن كلام أحمد بن أبي خالد قال : من لم يقدر على نفسه بالبذل لم يقدر على عدوه بالقتل .

* قال سعيد بن عبدالعزيز : سمع الحسن بن علي رجلاً إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف فبعث بها إليه [٣/٢٦٠].

* دخل ابن أبي عمار وهو يؤمئذ فقيه أهل الحجاز على نخاس فعرض عليه جارية فعلق بها ، وأخذه أمر عظيم ،ولم يكن معه مقدار ثمنها فمشى إليه عطاء وطاووس ومجاهد يعذلونه ، وبلغ خبره عبدالله فاشتراها بأربعين

ألفاً وزينها وحلاها ثم طلب ابن أبي عمار فقال : مافعل حبك بفلانة ؟

قال : هي التي هام قلبي بذكرها ، والنفس مشغولة بها ، فقال : ياجارية أخرجيها ، فأخرجتها ترفل في الحلى والحلل فقال : شأنك بها بارك الله لك فيها ، فقال : لقد تفضلت بشيء ما يتفضل به إلا الله ، فلما ولى بها قال : يا غلام ، احمل معه مائة ألف درهم ، فقال : لئن والله وعدنا نعيم الآخرة ، فقد عجلت نعيم الدنيا [٣/٤٦١] .

* عن عبدالرحمن بن زيد قال : صار ربيعة الرأي إلى فقه وفضل ما كان بالمدينة رجل أسخى بما في يديه لصديق أو لابن صديق أو لباغ يبتغيه منه ، كان يستصحبه القوم فيأبى صحبة أحد إلا أحداً لا يتزود معه ، و لم يكن في يده ما يحمل ذلك . [٦/٩٢]

* يقال : أنفق محمد بن سوقه في أبواب الخير مائة ألف درهم .

الإيثار والمواساة عند السلف الصالح *

* عن عطاء الخرسانة أن امرأة أبي مسلم الخولانى قالت: ليس لنا دقيق، فقال : هل عندك شيء ؟ قالت : درهم بعنا به غزلاً ، قال : ابغينيه وهاتى الجراب .

فدخل السوق فأتاه سائل وألح ، فأعطاه الدرهم ، وملأ الجراب نشارة مع تراب ، وأتى وقلبه مرعوب منها وذهب ، ففتحته فإذا به دقيق حوارى فعجنت وخبزت .

فلما جاء الليل وضعته فقال : من أين هذا ؟ فقالت : من الدقيق ، فأكل وبكى [١٢/٤] .

* عن علقمة بن مرشد قال : أما الحسن البصري فما رأينا أحداً أطول حزناً منه ، ما كنا نراه إلا حديث عهد بمصيبة ثم قال : نضحك ولا ندرى لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا وقال: لا أقبل منكم شيئاً ، ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله ــ يعنى قوة ــ والله لقد رأيت أقواماً يمسى أحدهم ولا يجد عنده إلا قوتاً فيقول : لا أجعل هذا كله في بطني

* (سير أعلام النبلاء)للذهبي .

فيتصدق ببعضه ولعله أجوع إليه ممن يتصدق به عليه [٥٨٥/٤] .

* جاء فضيل بن مرزوق وكان من أئمة الهدى زهداً وفضلاً إلى الحسن بن حيي فأخبره أنه ليس عنده شيء فأخرج له ستة دراهم وقال : ليس معي غيرها ، قال : سبحان الله ليس عندك غيرها وأنا آخذها ؟ فأبى ابن حيي إلا أن يأخذها ، فأخذ ثلاثة وترك ثلاثة [٣٤٣/٤] .

* عن يعقوب بن شيبة ، قال : أظل العيد رجلاً ،وعنده مائة دينار لا يملك سواها ، فكتب إليه صديق يسترعى منه نفقة ، فأنفذ إليه بالمائة دينار ، فلم ينشب أن ورد عليه رقعة من بعض إخوانه يذكر أنه أيضاً في هذا العيد في ضائقة ، فوجه إليه بالصرّة بعينها .

قال : بقى الأول لا شيء عنده ، فاتفق أنه كتب إلى الثالث وهو صديقه يذكر حاله ، فبعث إليه الصرّة بختمها ، قال : فعرفها ، وركب إليه ، وقال : خبرني ، ما شأن هذه الصرّة ؟ فأخبره الخبر ، فركبا معاً إلى الذي أرسلها ، وشرحوا القصة ، ثم فتحوها واقتسموها . [٤٩٨/١١] .

* **قال ابن لبابة الحافظ** :كان بقى بن مخلد من عقلاء الناس وأفاضلهم وكان أسلم بن عبدالعزيز يقدمه على جميع من لقيه بالمشرق ،ويصف زهده ويقول : ربما كنت أمشى معه في أزمة قرطبة ،فإذا نظر في موضع خال على ضعيف محتاج أعطاه أحد ثوبيه [٢٩٢/٣] .

* **قال منصور الغفاري** : شاهدت الحافظ عبدالغنى المقدسي في الغلاء بمصر وهو ثلاث ليال يؤثر بعشائه ويطوى [٤٥٧/٢١] .

حقيقة الإيثار
وأقسامه

الإيثار أن يقدم الإنسان غيره على نفسه ، والمواساة أن يواسى غيره بنفسه ،والإيثار أفضل .

ولكن ليُعلم أن الإيثار ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : ممنوع . **والثاني** : مكروه أو مباح . **والثالث** : مباح .

القسم الأول : وهو الممنوع ، وهو أن تؤثر على غيرك بما يجب عليك شرعًا فإنه لا يجوز أن تقدم غيرك فيما يجب عليك شرعاً .

ومثاله : إذا كان معك ماء يكفى لوضوء رجل واحد ،وأنت لست على وضوء ،وهناك صاحب لك ليس على وضوء والماء لك ، لكن إما أن يتوضأ به صاحبك وتتيمم أنت ، أو تتوضأ أنت ويتيمم صاحبك ، ففي هذه الحال لايجوز أن تعطيه الماء وتتيمم أنت ، لأنك واجد للماء ، والماء في ملكك ، ولا يجوز العدول عن الماء إلى التيمم إلا لعادم .

فالإيثار في الواجبات الشرعية حرام ،ولا يحل ، لأنه يستلزم إسقاط الواجب عليك .

القسم الثاني : وهو المكروه أو المباح :

فهو الإيثار في الأمور المستحبة ،وقد كرهه بعض أهل العلم وأباحه

بعضهم ، لكن تركه أولى لاشك إلا لمصلحة .

ومثاله : أن تؤثر غيرك في الصف الأول الذي أنت فيه ، مثل أن تكون أنت في الصف الأول في الصلاة ، فيدخل إنسان فتقوم من مكانك وتؤثره به ، فقد كره أهل العلم هذا ، وقالوا : إن هذا دليل على أن الإنسان يرغب عن الخير ،والرغبة عن الخير مكروهة ، إذ كيف تقدم غيرك إلى مكان فاضل أنت أحق به منه ؟!

وقال بعض العلماء : تركه أولى إلا إذا كان فيه مصلحة ، كما لو كان أبوك وتخشى أن يقع في قلبه شيء عليك فتؤثره بمكانك الفاضل ، فهذا لا بأس به .

القسم الثالث : وهو المباح :

وهذا المباح قد يكون مستحباً ، وذلك أن تؤثر غيرك في أمر غير تعبدي ، أي : تؤثر غيرك وتقدمه على نفسك في أمر غير تعبدي .

ومثاله : أن يكون معك طعام وأنت جائع ، وصاحب لك جائع مثلك ففي هذه الحال إذا آثرته فإنك محمود على الإيثار . [١]

---

[١] (شرح رياض الصالحين /١/٨٣٢) لابن عثيمين رحمه الله ، دار السلام ، القاهرة .

صاحب الجود لا يمنّ بالعطيّة

المسلم التقى الواعي إذا وفقه الله للعطاء والبذل في سبيله ، لا يمـن على من أعطاهم ويحرص على أن يكون ممن قال الله تعالى فيهم :

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ [البقرة] .

ولا يخفى عليه أن لا شيء أحبط للعمل وأبطل لثواب الصدقة مـن المنّ والأذى بل إن نداء الله تبارك وتعالى للمؤمنين بالنهى والتحذير مـن المنّ الذي يبطل الصدقات ، ويطيح بالحسنات ليملأ سمعه ،ويهزّ كيانه ، ويصرفه عن التفكير بـالمنّ أو الأذى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

إن المنّ على الإنسان الفقير الذي ألجأته الحاجة إلى الأخـذ إهانـة لإنسانية وامتهان لكرامته ، وحطّ من قدره .

وهذا كله محرم في شرعة الإسلام التي تعد المعطى والآخذ أخـوين ، لا فرق بينهما إلا بالتقوى والعمل الصالح ،والأخ لا يمن على أخيـه ولا

يؤذيه في نفسه وكرامته .[١]

ومن هنا اشتد الوعيد للمنّان في الحديث الذي رواه مسلم عـــن أبي ذر، إذ صنفه رسول الله ﷺ في زمرة الأشقياء الذين لايكلمهم الله يـــوم القيامة ،ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ،ولهم عذاب أليم فقال : «ثلاثـــة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» قرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرّات .

قال أبو ذر : خابوا وخسروا من هم يارسول الله ؟

قال : « المسبل ،والمنّان ،والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[٢] .

---

[١] (شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة /٢٨٥) د/محمد عهلى الهاشمى ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت .

[٢] مسلم : كتاب الإيمان ، باب : بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمنّ بالعطية ، رقم (٢٨٩) (نووى /٢/٢٩٧) .

لا خير في المال إلا مع الجود والكرم فاحذر البخل

الواجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى من حُطام هذه الدنيا الفانية ، وعلم زوالها عنه ، وانقلابها إلى غيره ، وأنه لا ينفعه في الآخرة إلا ما قدم من الأعمال الصالحة أن يبلغ مجهوده في أداء الحقوق في مالــه ، والقيــام بالواجب في أسبابه مبتغياً بذلك الثواب في العقبى ،والــذكر الجميــل في الدنيا ، إذ السخاء محبة ومحمدة ، كما أن البخل مذمة ومبغضة ، ولا خير في المال إلا مع الجود ، كما لا خير في المنطق إلا مع المخبر .

فأجود الجود من جاد بماله ، وصان نفسه عن مال غيره ، ومن جاد ساد ، كما أن من بخل رذل .

والجود حارس الأعراض ، كما أن العفو زكاة العقل ، ومن أتم الجود أن يتعرّى عن المنّة ، لأن من لم يمتن بمعروفه وفّــره ، والامتنـــان يهـــدم الصنائع ، وإذا تعرّت الصنيعة عن إزار له طرفان : أحـــدهما الامتنــــان ، والآخر الجزاء كان من أعظم الجود ، وهو الجود على الحقيقة .

وأصل الجود ترك الضّن بالحقوق عن أهلها ، كما أن أصــل تربيــة الجسد أن يحمل عليه في الأكل والشرب والباه ، فكما لا تنفع المروءة بغير

تواضع ، ولا الحفظ بغير كفاية ، كذلك لا ينفع العيش بغير مـــا ل، ولا المال بغير جود، وكما أن القرابة تبع للمودة ،كذلك المحمدة تبع للإنفاق .

والبخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا ، من تعلق بغـــصن مـــن أغصانها جَرَّه إلى النار ، كما أن الجود شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا ، فمن تعلق بغصن من أغصانها جرّه إلى الجنة ،والجنة دار الأسخياء .

وما رأيت أحداً من الشرق إلى الغرب ارتدى برداء الجود واتّزر بإزار ترك الأذى إلا رأس أشكاله وأضداده ، وخضع له الخاص والعام فمن أراد الرفعة العالية في العقبى ، والمرتبة الجليلة في الدنيا ، فليلزم الجود بما ملك ، وترك الأذى إلى الخاص والعام ، ومن أراد أن يهتك عرضه ، ويثلم دينه ، ويمله إخوانه ، ويستثقله جيرانه ، فليلزم البخل [١] .

---

[١] (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء /٢٣٥ــ٢٤١) باختصار .

فوائد الكرم والجود

* إحياء هذه السنة وتلك الفريضة التي غابت واندثرت عند كثير من الأغنياء والأثرياء ، فعندما يرى هؤلاء حرص الناس الفقير منهم قبل الغني سارعوا إلى الاقتداء بهم ،وأنفقوا من جيد أموالهم .

* انتشار الأمن والأمان في المجتمعات الإسلامية ، حيث أن الله تعالى أغنى الجميع بهذه الصدقات وبتلك الأموال التي توزع علـــى المحتـــاجين والفقراء ، فتقل الجريمة التي نشأت من جرّاء الفقر الشديد ، في وقت أن الأموال تراها تتكدس في أيدي الرأسماليين ، فنتج عن ذلـــك جـــرائم لا تحصى ولا تعد من سرقات واتجار في المخدرات وسائر الممنوعات ،ويريد هؤلاء أن يلحقوا بهؤلاء الأثرياء بأي طريق كان .

فإذا ما أغناهم إخوانهم بهذه العطايا ،وبتلك الأموال التي جادت بهـــا أنفسهم والتي هي من حق الله تعالى أغنوهم عن السؤال ، وأمّنوا المجتمـــع من ويلات هذه الجرائم الكثيرة .

* نزع الأحقاد والضغائن وسلامة الصدور مما فيها من دغل علـــى الأغنياء من قبل ذوى الحاجة من أهل الفقر والعوز ، فالكرم والجود وبذل الندى لهؤلاء يطيب خواطرهم ،وينظف قلوبهم من السخائم التي تكنّهـــا تلك القلوب على هؤلاء الأثرياء الذين بخلوا بحـــق الله علـــى أصـــحاب الصدقات .

* إيواء هؤلاء الملايين الذين شرّدهم الحروب الطاحنة وجوّعتهم فبذل الأموال للهيئات الخيرية والإغاثية يساعد في انتشال إخواننا المسلمين العرايا البائسين في جميع أصقاع المعمورة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* إثراء المشاريع الخيرية وانتشارها في كل مكان من مدارس شرعية وعلمية، ومستشفيات ومصانع تخدم ذوى الحاجة الذين لا دخل عندهم ، وهدّهم الأمراض ،وقعدت بهم الأمانى ،واكتنفتهم الجدران وحوائجهم في قلوبهم صارت حسرات ، فبذل الأموال في مكانها الصحيح يوفر هؤلاء المحرومين حاجاتهم من علاج وتعليم ومأكل ومشرب .

* انتشار الإسلام وذلك يكون بخدمة هذه المكاتب الخيرية التي تدعوا غير المسلمين إلى الإسلام ، وكم كتب الله بهذه الصروح الدعوية التي تدعوا هذه الجاليات غير المسلمة كثيراً من الخير وذلك يتمثل في دخول الآلاف من هذه الجاليات إلى حظيرة الإسلام .

الجود والكرم في واحة الشعر

(أ)

الجود مكرمة

الجود مكرمة والبــخل مبغــضة ... لا يستوي البخل عند الله والجــود

والفقر فيه شخــوص والغنى دَعَة ... والناس في المــال مرزوق ومحدود

(بـ)

يارُب عاذلة

يارُب عاذلة في الجود قلتُ لها ... قِلّي على الله فيما أنفقُ الخلــفا

هل من بخيل رأيت المال أخلده؟ ... أم هل رأيت جواداً ميتاً عجفا[1]؟

لمــا رأتنى أوتى المــال طــالبه ... ولا أبالِى تلاداً كــان أم طرُفا[2]

عدّت سماحى تبذيراً ولست أرى ... مايُكسبُ الحمد تبذيراً ولااسرفا

(جـ)

لا خير في المال لكنّازه

لا خــير في المال لكُنّازه ... إلا جود الكف وهّابه

يفعل أحيــاناً بــزوّاره ... ما تفعل الخمر بّشرابه

---

(١) العجف : الهزال .

(٢) الطريف : المال المستحدث ، وطرف ككريم .

(د)

سأبذل مالي

سأبذل مالي كلما جاء طــالبٌ وأجعله وقفا على القَرض والفَرض
فإمّا كريماً صُنتُ بالجود عِرْضه وإمّا لئيماً صنتُ عن لــؤمه عرضي

(هـ)

ملأت يدي من الدنيا

مــلأت يدي من الدنيا مراراً فما طمع العواذل في اقتصادي
وما وجبت على زكاة مــالٍ وهل تجب الزكاة على الجواد ؟

(و)

الجود يستر العيوب

ويُظهر عيب المرء في الناس بخله ويســتره عنهم جميعاً ســـــخاؤه
تغطّ بأثــواب الســخاء فإنني أرى كل عيــب والســخاء غطاؤه

(ز)

البخل لا فلاح معه

لكل هم من الهموم سعهْ والبخل واللؤم لا فلاح معه
قد يجمع المال غير آكــله ويأكل المال غير من جمــعه
اقبلْ من الدهر ما أتاك به من قرَّ عينا بعيــــشه نفعه

(هـ)

قيس بن عاصم وزوجته

قال قيس بن عاصم الصحابي ﷺ الجواد سيد قومه بني تميم ، الحليم الذى قال الأحنف بن قيس التميمى منه تعلمت الحلم ، قال لامرأته وقد تزوجها جديداً وأحضرت له طعاماً قال لها : أين أكيلى ؟ فلم تدرى ما يقول لها .

فأنشأ يقول :

إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له أكيلاً فإنى لست آكُـلُهُ وحـدي
أخاً طارقاً أو جار بيتٍ فإننى أخاف ملامات الأحاديث من بعدي
وإني لعَبْدُ الضيف من غير ذلّة ومـا فىّ إلا ذاك من شيـمة العبدِ

فسمعه جار له وكان بخيلاً فقال :

لبيني وبين المـرء قيس بن عاصم بما قـال بَوْنٌ في الفـعال بعيدُ
وإنا لنجـفو الضيف من غير قِلّة مخـافة أن يُغْـرَى بنا فيـعودُ

(ط)

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ
ألم تـر أن المال عادٍ ورائحٌ ويبقى من المـال الأحاديث والذكرُ

وصلى اللهم وسلم على الحبيب محمد وعلى آله وصحبه وجميع من سلك طريقه إلى يوم الدين اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت

وما أعلنت وما أنت أعلم به منى واغفر لجميع المــسلمين أجمعــين وانصر دينك وكتابك وأتباعك اللهم آمين .

المراجـــــــــــــــع

تفسير

١ـــ تفسير ابن كثير، مكتبة الرشد، الرياض ، ط١، ١٤٢٠هـــ ١٩٩٩م.

٢ـــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن بـــن ناصـــر السعدى ، تحقيق : عبدالرحمن بن معلاّ اللويحق ، مؤســـسة الرســـالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـــ ـــ ٢٠٠٠م .

٣ـــ بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم ، جمعه ووثقه : يـــسرى محمد السيد دار الجوزى ، الدمام ، ط ١٤١٤هـــ ـــ ١٩٩٣م .

٤ـــ أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير ، لأبي بكر جابر الجزائرى ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط٥ ، ١٤٢٤هـــ .

٥ـــ محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمى ، تحقيق الأستاذ : محمـــد فؤاد عبدالباقى ، مؤسسة التاريخ العربى ، بيروت ، ط ١٤١٥هـــ .

٦ـــ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط٢١ ، ١٤١٤هـــــ ـــ ١٩٩٣م .

٧ـــ التسهيل لتأويل التنـــزيل تفسير سورة القصص في سؤال وجـــواب ، مصطفى العدوى ، دار بلنسية، الرياض ، ط١ ١٤٢٣هـــ ـــ ٢٠٠٢م .

٨ـــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى .

٩ــ زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزى .

١٠ــ التسهيل لتأويل التنــزيل «تفسير سورة النور » مصطفى العــدوى دار ماجد عسيرى ، جدة ، ط١ ، ١٤١٩هـــ ١٩٩٩م .

١١ــ تفسير القرآن العظيم « سورة البقرة » محمد بن صالح العثيمين ، دار ابن الجوزى ، ط١ ، ١٤٢٣هــ .

حــديث

١٢ــ صحيح البخارى ومعه فتح البارى ، لابن حجر العسقلانى عن الطبعة التى حقق أصلها عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ورقم كتبها وأبوابها ط٢ ، ١٤١٨هــ ١٩٩٧م .

١٣ــ صحيح مسلم ومعه شرح النووى ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٧هــ ١٩٩٦م .

١٤ــ المسند ، للإمام أحمد ، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية .

١٥ــ جامع الترمذى ، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية .

١٦ــ سنن أبى داود اعتنى به بيت الأفكار الدولية .

١٧ــ سنن النسائى اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية .

١٨ــ سنن ابن ماجة اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية .

١٩ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٧هــ ١٩٨٧م .

٢٠ــ شرح رياض الصالحين ، لابن عثيمين ، دار السلام ، القاهرة ، ط١، ١٤٢٣هــ ٢٠٠٢م .

٢١ـــ صحيح الجامع الصغير وزيادته ، للألبـــانى ، المكتـــب الإســـلامي ، بيروت، ط٣ ، ١٤٠٨هـــ ــــ ١٩٨٨م .

٢٢ـــ ترتيب صحيح الجامع الصغير وزيادته على الأبواب الفقهية ، رتبـــه وبّوبه عونى نعيم الشريف ، شرح غريب ألفاظه ، على حـــسن علـــى عبدالحميد ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٧هـــ .

٢٣ـــ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، عبدالرؤوف المناوى ، دار الحديث القاهرة .

٢٤ـــ بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين ، سليم بن عيد الهلالى ، دار ابن الجوزى ، ط٥ ، ١٤٢١هـــ .

٢٥ـــ عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم آبادى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

سيرة وتاريخ

٢٦ـــ التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، د/عبدالعزيز عبدالله الحميدى ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ط١ ، ١٤١٨هـــــ ـــ ١٩٩٨م .

٢٧ـــ مواقف إيمانية، أحمد فريد ، دار طيبة ، الرياض ، ط٤ ، ١٤٢٤هـــ .

٢٨ـــ الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلانى ، تحقيق : عـــادل أحمد عبدالموجود ، على محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بـــيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـــ .

٢٩- السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق : وليد بن محمد بن سلامة ، خالد بن محمد بن عثمان ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٣٠- سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومجموعة علماء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٣١- البداية والنهاية ، لابن كثير ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٢- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٣- زاد المعاد ، لابن القيم ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، وعبدالقادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت .

رقائق وآداب وسلوك

٣٤- تهذيب مدارج السالكين ، لابن القيم ، هذبه : عبدالمنعم صالح العلى العربي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٤١٢هـ .

٣٥- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، للسفاريني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٦- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان البستي ، شرح وتحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، محمد عبدالرزاق حمزة ، محمد حامد الفقى ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة .

٣٧- الآداب الشرعية ، لابن مفلح ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، عمر القيام ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤٢١هـ ، بيروت .

٣٨- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، لابن جماعة رمادى

للنشر والتوزيع ، الدمام .

٣٩ــ التواضع في ضوء الكتاب والسنة، سليم الهلالى ، دار ابن القيم الدمام، ط٢ ، ١٤٢٢هـــ ــ ٢٠٠١م .

٤٠ــ منجد الخطيب ، أحمد صقر السويدى ، دار ابن حزم ، بيروت .

٤١ــ محمد ﷺ كأنك تراه، د/عائض القرنى ، دار ابن حزم بيروت ، لبنان .

٤٢ــ الأدب النبوى ، محمد عبدالعزيز الخولى ، دار المعرفة ، بيروت ط١ ، ١٤١٧هـــ ــ ١٩٩٦م .

٤٣ــ الأتقياء الأخفياء ، سعيد عبدالعظيم ، دار طيبة الخضراء مكة ، ط٢ ، ١٤٢٢هـــ .

٤٤ــ مجموع الحافظ ابن رجب الحنبلى ، جمعه وحققه ، طلعـــت فـــؤاد الحلوانى ، الفاروق الحديثة للطباعة .

٤٥ــ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، لابن القيم تحقيق : محمد عبدالقادر الفاضلى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١٤٢٢هـــ .

٤٦ــ الأخلاق الإسلامية وأسُسُها ، عبدالرحمن حسن حنبكة الميدانى ، دار القلم ، دمشق ، ط٣ ، ١٤١٣هـــ ــ ١٩٩٢م .

٤٧ــ فصول من الأخلاق الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ، د/عبدالله بن سيف الأزدى ، دار الأندلس ، جدة ، ط١ ١٤٢٠هـــ .

٤٨ــ الصبر في القرآن الكريم ، د/يوسف القرضاوى ، مؤسسة الرســالة ، بيروت ، ط١٠ ، ١٤٢٢هـــ .

٤٩ـ الصبر فضائله فوائده مكانته ومنـزلته على ضوء الكتاب والسنة ، محمد بن فهيد الدوسرى ، دار الوطن ، ط١ ، ١٤٢٣هـ .

٥٠ـ أنواع الصبر ومجالاته ، د/سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .

٥١ـ الوسائل المفيدة للحياة السعيدة ، عبدالرحمن السعدي .

٥٢ـ تسلية أهل المصائب، محمد المنبجي الحنبلي، دار الكتبي، ط١، ١٤١١هـ.

٥٣ـ مقومات الداعية الناجح ، د/ علي عمر بادحدح ، د/ الأندلس الخضراء ، جدة ، ط٤ ، ١٤٢٢هـ .

٥٤ـ مدارج السالكين ، لابن القيم ، تحقيق : عبدالعزيز بن ناصر الجليِّل ، دار طيبة ، الرياض .

٥٥ـ خلق المسلم ، محمد الغزالي، دار القلم ، دمشق، ط١٦ ، ١٤٢٢هـ.

٥٦ـ مكارم الأخلاق ، لابن عثيمين .

٥٧ـ إحياء علوم الدين ، للإمام الغزالي ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٥٨ـ شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة ، محمد علي الهاشمي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت .

٥٩ـ هكذا حدثنا الزمان ، د/ عائض القرني ، دار المعرفة .

٦٠ـ رسائل في التربية والأخلاق والسلوك ، محمد إبراهيم الحمد ، دار ابن خزيمة ، الرياض .

٦١ـ مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فاروق

السامرائي ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر .
٦٢ـ الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ، عبدالرحمن السعدي رمادي للنشر والتوزيع ، الدمام .
٦٣ـ الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها ، د/عبدالله بن ضـيف الله الرحيلي ، ط١، ١٤١٧هـ .

فقــــه

٦٤ـ مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم .
٦٥ـ منهاج المسلم ، دار الفكر ، لأبي بكر جابر الجزائر، ط١، بيروت ، لبنان.

عقــيدة

٦٦ـ الاستقامة ، لابن تيمية ، تحقيق ، د/ محمد رشاد سالم ، دار الهـدى النبوي ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ، مصر .
٦٧ـ المنهاج الأسمى شرح أسماء الله الحسنى ، د/ زين محمد شحاته .

معـــاجم

٦٨ـ مختار الصحاح ، للرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بـيروت ط١ ، ١٤١٩هـ .
٦٩ـ المعجم الوسيط ، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر ، محمد علي النجار ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا .
٧٠ـ القاموس المحيط ، لفيروز آبادي ، مؤسسة الرسـالة ، بـيروت ط٦، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

فهرس الموضوعات